

ملف خاص بـ صمود البصرة

الموعد

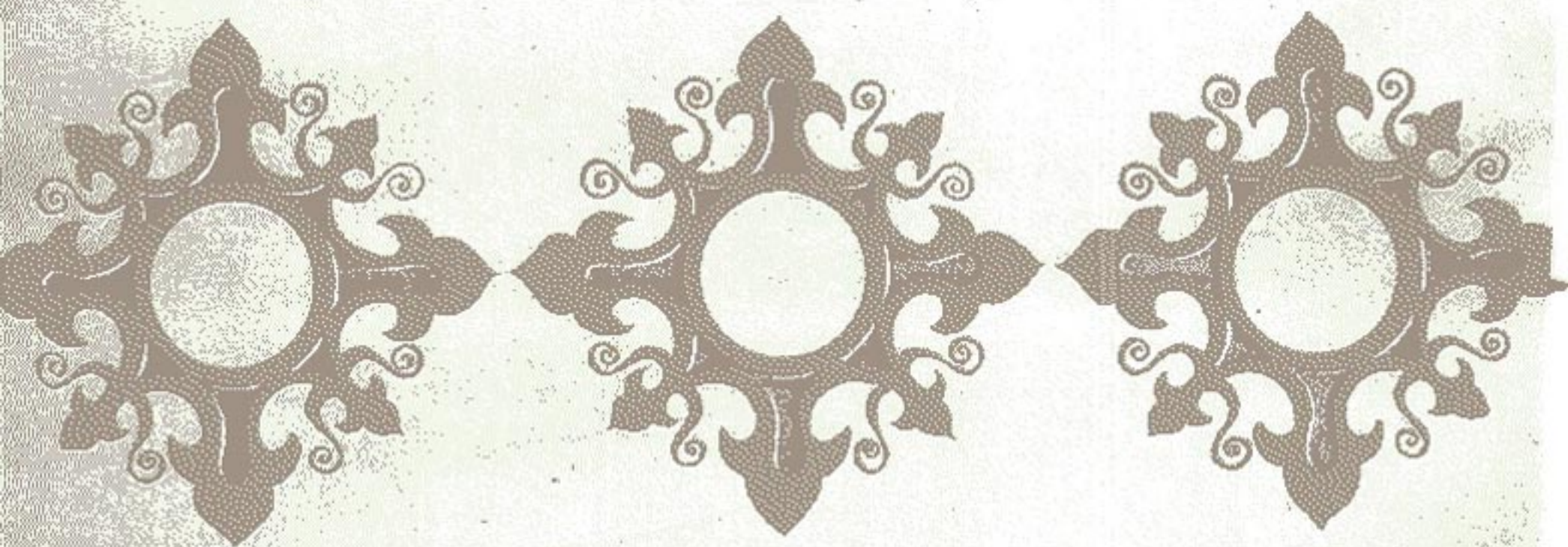
مَجَلَّةٌ تُرَاثِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ

تَصَدُّرُهَا وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ - دَائِرَةُ الشُّؤُونِ الثَّقَافِيَّةِ وَالنَّشْرِ
الْجُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِيَّةُ

المجلد الرابع عشر - العدد الثالث ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



WWW.ATTAWHEEL.COM



أسرة المطبعة

المودد

مجلة تراثية فصلية



تصدرها وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد - الجمهورية العراقية

المجلد الرابع عشر

خريف ١٩٨٥

العدد الثالث

رئيس التحرير طراز الكبيسي

سكرتيرة التحرير هدى شوكت بهنام



أبو علي النحوي ودوره في النهضة النحوية

الدكتور

علي جابر المنصوري

الاستاذ المساعد في كلية الشريعة
جامعة بغداد

قبل البدء

وعلمه النحو حتى قال : « انا غلام أبي علي في النحو » (١) .

غير أن بغداد تجذبه إليها لما فيها من مغريات علمية ، ومنافسات بين علمائها وأدبائها فيعود إليها سنة (٣٦٨ هـ) ويتخذها موطناً له حتى وفاته سنة (٣٧٧ هـ) .

الف أبو علي أكثر من أربعين كتاباً في النحو والمثناة ، قمنا بتحقيق أكثر من خمسة منها . كما أن هناك كثيراً من العلماء والباحثين حققوا له كتباً مهمة منهم الدكتور عبدالفتاح شلبي ، والدكتور كاظم بحر ، والدكتور حسن شاذلي فرهود ، والدكتور محمد حسن اسماعيل ، والباحث صلاح السنكاوي . وأود أن أشير هنا إلى أن بحثي هذا لم يسبق أن تطرق إليه أحد من الباحثين ، كما أنني لم يسبق لي أن تناولته في دراستي السابقة التي تناولت فيها دراسة كتبه مثل الشرايات ، والعسكريات ، وكتاب الشعر ، وأقسام الأخبار ، والمضديات ، فهو بحث جديد بكل ما فيه من معنى الجودة من بين الدراسات التي تقدمت . وأرجو من الله التوفيق .

(*) النجوم الزاهرة ١٥/٤ .

أبو علي هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان بن أبان . ولد في الغالب عام (٢٨٨ هـ / ٨٤٣ م) من أب فارسي وأم عربية من سدوس بني شيبان . مكث في بلاد فارس تسعة عشر عاماً . ثم انتقل إلى بغداد عام (٣٠٧ هـ) لطلب العلم . وفي العراق تتضح حياته ، وتتوجه إليه الانظار ، ويظوف أرجاء البلاد يكتب ويؤلف ويحاضر ، فكانت له مؤلفات ، قرئت بأسماء قسم من المدن التي حل فيها كالبريات التي ألفها في البصرة ، والهيئات التي ألفها في (هيت) .

وانتقل إلى الموصل ، وفيها التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمناً ثم توجه إلى حلب ، والتحق ببلاط سيف الدولة الحمداني ، فأكرم وفادته . وطاف في بلاد الشام ، فمضى إلى طرابلس ، وزار للمرة ، وأقسام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبيات ، ثم رجع أبو علي إلى بغداد سنة (٣٤٦ هـ) ، واستمر مستوطنها حتى سنة (٣٤٨ هـ) ثم غادرها إلى بلاد فارس . وصحب عضد الدولة ، وصنف له كتابي الإيضاح والتكملة ،

القسم الأول

الحروف واصواتها

معنى الحرف :

الحرف كلمة شملت معاني كثيرة منها «الحرف من حروف الهجاء ... ومنها الحرف : الاداة التي تسمى الرابطة لانها تربط الاسم بالاسم ، والفعل بالفعل ... ومنها الحرف : القراءة ... ومنها الحرف : الطرف ...» (١) .

ومن هنا ندرك ان كلمة - الحرف - كانت في معناها غير مستقرة في عصر الخليل ، والمصور التي تلت . فقد دلت على معاني كثيرة منها هذا الذي هو موضوع حديثنا حيث نقصد به (صوت الهجاء) .

ويرجع استخدام لفظة (الحروف) هذه بهذا المعنى الاصطلاحي الى الخليل بن احمد الفراهيدي فيما « ... الفه ... من حروف ا . ب . ت . ث ... » (٢) .

في ترتيب كلمات معجم العين .

دلالة الحروف وصوته : ان مصطلح الحرف يدل تارة على الصوت اللفوي المنطوق ، وتارة على الحرف المدون المرئي ، او بمعنى ادق ان « ... مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون ، وعلى نطقه دون تمييز بين « (٣) الصورة والصوت غير ان الجانب - الصوتي - هو الذي يؤلف اللفظة المنطوقة التي يتحدث بها الناس . وهو عبارة عن اصوات « ترتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فهي - ! الاصوات - تكون نظاما متجانسا ... تنسجم اجزائه كلها فيما بينها . وهذه هي اول قاعدة من قواعد الصوتيات ، وهي ذات اهمية قصوى لانها تثبت ان اللفظة لا تتكون من اصوات منعزلة بل من نظام من الاصوات « (٤) . يجري على اساس من الحركات والسواكن .

اما الجانب الآخر ، فهو صور الحروف المكتوبة التي يتكون من اشكالها المختلفة نظام الخط العربي بطرقه المتعددة .

(١) اللسان (حرف) ٤٠/٩ .

(٢) العين ٤٧/١ .

(٣) انظر / قضايا في علم اللغة ١٠٣ . وقواعد اللغة العربية ، ٧ - ١ .

(٤) اللغة / ٦٢ . وانظر / مدرسة الكوفة ١٦٦-١٧٨ (الدراسة الصوتية) .

من اجل ذلك تكون للحروف ميزتان اثنتان . احدهما (الصوت) ، والاخرى (الصورة) ،

اما من ناحية الصوت ، فله ميزتان اثنتان ايضا احدهما صوته حينما يندرج مع غيره والثانية : اسمه اذا ما قصد به الكناية عن مسماه فانت « ... لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب ، قلت : آ ب ، آ د ، فاجتلبت همزة الوصل كما اجتلبوها في : آ ذهب ، وآ قتل ، وآ ضرب « (٥) .

فالنص المتقدم يشير فيه ابو علي الى كيفية نطق صوت الحرف ، واسمه ، فاذا اردت صوته ، قلت : (آ ب) مثلا ، واذا اردت اسمه ، قلت (باء) ، وهكذا بالنسبة لبقية الحروف .

واسمه هذا يعني الحرف ، ويعني الاسم ايضا « ... فمن قال : زي نهر اذا جعلها اسما شدد ، فقال زي . واذا جعلها حرفا ، قال : زي على حرفين مثل : كي ... » (٦) .

اعجام الحروف : « المعجم : النقط بالسواد ... يقال أعجمت الحرف ، والتعجيم مثله ... وحروف المعجم : هي الحروف المقطعة من سائر الحروف ... ومعنى حروف المعجم ، اي حروف الخط المعجم ... وعجم الكتاب وعجمه ... نقطه ... » (٧) .

يتضح مما تقدم ان الاعجام يعني تنقيط الحروف بنقاط بقصد ازالة الابهام عنها وقد اقدم العلماء الاوائل على هذه الخطوة منذ البداية ، وكان نصر بن عاصم الليثي - احد تلامذة ابي الاسود ٦٩ هـ - سباقا الى هذا العمل حيث توصل : « الى طريقة الاعجام التي تتميز بها الحروف الهجائية بعضها من بعض . فقد رتب الحروف جماعات ووضع كل حرف الى جانب الحرف الذي يشبهه في الصورة ، وميز الحروف المتشابهة بالنقط . وخالف بين هذه النقط افرادا وازواجا ، وغاير بين مواضعها ، فوضع بعضها فوق الحرف وبعضها تحت الحرف ، واتم هذه العملية التي سميت اعجاما ... » (٨) . وبذلك العمل اصبح بعض الحروف منقوطة ، واصبح

(٥) الشيرازيات / المسألة ١٥٦/٤ ب ، والكتاب (بولاق)

٦٢/٢ ، وسر صناعة الاغراب ٧/١ .

(٦) الخصص ٥٢/١٧

(٧) اللسان (عجم) ٢٨٨/١٢

(٨) الخليل بن احمد الفراهيدي / ٢٠ .

بعضها الآخر عارياً من النقط وهذا الحد يعتبر نمييزاً لكلا القسمين . فلا بأس ان نستخدم كلمة (اعجام) لكلا النوعين ، فيكون تبياناً - اي الاصطلاح - وتمييزاً لهما - كما يرى ابو علي - « فان قيل : ان جميع هذه الحروف ليس معجماً ، وانما المعجم بعضها . الا ترى ان الالف ، والحاء ، والذال ، ونحوها ليس معجماً ، فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجم ؟ . قيل : انما سميت بذلك لان الشكل الواحد اذا اختلفت اصواته فاعجمت بعضها ، وتركت بعضها ، فقد علم ان هذا المتروك بغير اعجام هو غير ذلك الذي من عادته ان يعجم ، فقد ارتفع اذن بما فعلوه الاشكال ، والاستبهام عنها جميعاً ، ولا فرق بين ان يزول الاستبهام عن الحرف باعجام عليه ، او بما يقوم مقام الاعجام في الايضاح والبيان . الا ترى انك اذا اعجمت الجيم بواحدة من اسفل ، والحاء بواحدة من فوق ، وتركت الحاء غفلاً ، فقد علم بانغفالها انها ليست واحدة من الحرفين الآخرين اعني الجيم والحاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد ، والضاد ، وسائر الحروف نحوها ، فلما استمر البيان في جميعها ، جازت تسميته بحروف المعجم » (٩) .

اصوات الحروف (بين المخارج ، والصفات ،

والتألف (١٠)

١ - مخارج بعض الاصوات

الصوت هو الاثر الواقع على الاذن من بعض حركات ذبذبية للهواء ، يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم .

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ٤٤١/١ - ٤٥٠ . قال ابن جني في هذا النص « وهذا كله رأي ابي علي وعنه اخذته » .

(١٠) انظر اهم المصادر وهي :

- ١ - مؤلفات ابي علي الفارسي .
- ٢ - العين ٥٧/١ - ٥٨ (في العربية تسعة وعشرون حرفاً) .
- ٣ - الكتاب (هارون) ٤٢١/٤ - ٤٢٦ « باب عند الحروف العربية ومخارجها ، ومهموسها ، ومجهورها ، واطوال مجهورها ، ومهموسها واختلافها » .
- ٤ - المقتضب ١٩٢/١ - ١٩٦ (باب مخارج الحروف) .
- ٥ - سر صناعة الاعراب - ابن جني ٤٦/١ - ٧٧ .
- ٦ - قضايا في علم اللغة العربية - الباب الثاني : الاصوات ٦٠ - ١٢٧ - الدكتور محمود حجازي .
- ٧ - اللغة - فندريس .
- ٨ - الدراسات اللهجية .

والعلم الذي يبحث في الاصوات يسمى علم الصوتيات الذي يحتوي على ثلاثة اشياء هي : انتاج الصوت ، وانتقاله ، واستقباله ، والذي يعنيها في بحثنا هذا هو موطن اصدار هذه الاصوات التي تسمى الحروف . وكذلك صفاتها - اي الحروف - واثلاثها فيما بينها .

لقد شغل كثير من العلماء في دراستها ، وكان الخليل بن احمد الفراهيدي في طليعة هؤلاء . ثم تتابع اللاحقون من بعده من العلماء باذلين جهوداً سحمودة في دراسة هذه الاصوات (الحروف) . وكان من بينهم - في القرن الرابع الهجري - ابو علي الفارسي الذي شملت جهوده مختلف جوانب اللغة ، ومنها دراسة الحروف التي عقدنا لها هذه الدراسة المفصلة من خلال ما وصل اليها عنه .

اصوات الحلق عند ابي علي :

حروف الحلق - كما يرى الخليل : « ... تبتدىء بالعين ، وتنتهي بالحاء ، وما بينهما ثلاث مدارج هي : مدرجة الحاء التي تلي العين ، وتكون بلزقها ، ومدرجة الهاء التي تلي الحاء ، وتكون بلزقها ، ومدرجة الفين وترتيبها عنده - اي الخليل - العين - الحاء - الهاء - الفين - الخاء ... » (١١) .

ويرى سيبويه ان للحلق منها ثلاث مدارج : « فاقصاها مخرجا : الهمزة ، والهاء ، والالف ، ومن اوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وادناها مخرجا من الفم : الفين والحاء » (١٢) . ونلاحظ من ذلك ان اقصى الحروف عند الخليل هو صوت (العين) . وعند سيبويه صوت (الهمزة) . فيكون تدرج اصوات الحلق عند الخليل هو (العين - الحاء - الفين - الخاء) حيث يقابلها عند سيبويه الهمزة - والهاء - والالف - والعين - والحاء - والفين - والحاء .

وبقر ابو علي تقسيم سيبويه حيث يرى ان الالف والهاء من مخرج واحد :

ذلك لان الالف تبدل الى « ... الهاء لمقاربة الالف لها وكونها من مخرجها » (١٣) .

(١١) الخليل بن احمد الفراهيدي ٩٩ وانظر ، العين ٥٧/١ . والجمهرة ٨/١ - ٩ .

(١٢) الكتاب (هارون) ٢٢/٤ .

(١٣) الفصديات ١٥ ب .

لأنهما تباعدا في المخرجين . فقول : « ... من قول في قول تأبط شرا » :

كأنما حثثوا حصا قوادمه
او ام خشف بذي شت وطباق

انه اراد : حثثوا فابدل من الشاء الوسطى حاء فمردود ... والعلة في فساده - عند أبي علي - . ان اصل القلب في الحروف انما هو فيما تقارب منها ، وذلك الدال والطاء ، والشاء والذال ، والفاء والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء ، فبعيدة من الشاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما الى اختها ... « (٢٢) » ولهذا السبب نجد (تاء) الافتعال في صيغة (افتعل) تبدل لتوافق الحرف الذي يليها ، او الذي يقع قبلها . فاذا ذكر - مثلاً - « ... ابدل - فيه - من تاء الافتعال التي في نحو : اجترح الدال ليوافق الدال في الجهر ، كما ابدلت منها الدال في افتعل من انزاي فقالوا : ازدان ليوافق الزاي في الجهر . ومن قال : مشرد في مفتعل من الشريد ، قال مذكر وقال : ميزان في مزدان ، ونظير هذا الابدال في تاء الافتعال ابدالهم الطاء في نحو : اضطجع ليوافق الضاد في الاطباق . ولم يقولوا : اضجع ، ولا اذكر ، ورقضوا ذلك من كلامهم ليوافق ما بعده في الجهر والاطباق » (٢٤)

٣ - عودة الاصوات الى اصولها

ونعني بذلك رجوع الحروف - اذا كانت في اواخر الكلمات - محذوفة - الى كلماتها . او رجوعها الى اصولها اذا كانت مقلوبة . ولعل معترضاً يعترض فيقول :

« لم جرت الاشياء في الوصل على حقائقها ، دون الوقف ؟ . قيل : لان حال الوصل اعلى مرتبة من حال الوقف . وذلك ان الكلام انما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وانما تجنى من الجمل ، ومدارج القول فلذلك كانت حال الوصل عندهم اشرف واقوم واعدل من حال الوقف ... » (٢٥) .

(٢٢) سر صناعة الاعراب ١/١٩٦-١٩٧ وانظر / الفارسي ومذهبه اللغوي مجلة كلية الامام الاعظم ١٩٧٨ - العدد ٢٥٦/٢٥٢/١ .

(٢٤) المضديات م ٢/٤٢ ١ .

(٢٥) الخصائص ٢/٢٣١ . والفارسي ومذهبه اللغوي في الشيرازيات مجلة الامام الاعظم سنة ١٩٧٨ م - العدد ٢٥٦-٢٥٤/١ .

كما يرى ان التضعيف في « ... حروف الحلق ... » (١٤) هذه قليل ، وذلك لعمق مخارج هذه الاصوات . هذا العمق الذي يؤدي الى ثقل هذه الاصوات ، وبالتالي الى قلة الكلمات التي تكون فيها المينات واللامات من حروف الحلق (١٥)

ثم يضيف ابو علي الى حروف الحلق حرفين آخرين - بالاضافة الى ما تابع به سيبويه - هما :

آ - القاف : صوت يدخل « في حروف الحلق ... » (١٦) . وهو عند الخليل لهوي (١٧) . وعند المدارسين المحدثين من اقصى حروف الحنك (١٨) . يكون مجهورا احبانا ، ومهموسا احيانا اخرى .

ب - الكاف : « ... حرف من حروف الحلق ... » (١٩) . ينطق مهموسا غير مطبق وعند المحدثين من اصوات اقصى الحنك مثل القاف (٢٠) يكون اصلا وبدلا . تقول : « ... اعرابي كح » ، واعرابية كحة . تريد : قح وقحة ... » (٢١) .

والصوتان - اي القاف والكاف - لهويان من اقصى الحنك ، ويكون القاف من اقصى الحنك الاعلى ، ويكون الكاف من اسفله (٢٢) .

يتبين مما تقدم ان ابا علي كان قد تفرد برأيه في هذين الحرفين ، باعتبارهما من حروف الحلق.

٢ - تقارب المخارج ، والابدال في الاصوات

اصل القلب في الحروف - اساسا - ينشأ من تقارب مخارج اصواتها . هذه هي القاعدة العامة - عند أبي علي - فاذا تقاربت في المخارج ، قلب احدها الى الآخر ، واذا تباعدت قل فيها القلب ، لذلك لا يكون ابدال بين (الحاء) الشاء

(١٤) المضديات ١٦ ، ب .

(١٥) المضديات ٥٦ ، ب .

(١٦) المضديات ١٦ ، ب .

(١٧) انظر / العين ٨/١ ، والخليل ابن احمد الفراهيدي ١٠١ .

(١٨) قضايا في علم اللغة ٩٢/٩٢ .

(١٩) المضديات ١٠٠ ، ب .

(٢٠) قضايا في علم اللغة / ٩١ .

(٢١) سر صناعة الاعراب ١/٢٨٠ .

(٢٢) العين ٨/١ والكتاب (هارون) ٢٢٣/١ .

وهذا يعني - عند أبي علي الفارسي - ان
الاصوات في حال الوصل ، تأخذ مجراها الحقيقي .
فتعود ان كانت محدوفة ، وترجع الى اصولها ان
كانت معلقة ، وتماز ان كانت خفية .

٤ - مظهر الاصوات (أي امتداد اصواتها)

ان الحركة اذا اشبعت ، مملت . فنشأ منها
حرف لين من جنسها ، وقد يطول هذا الحرف
في الصوت احيانا فيمد ايضا (٢٦) . والحروف التي
نمد (تمطّل) هي حروف اللين الثلاثة المصوتة
(الالف ، والياء الواو) وقد تمد باشباع في
ثلاثة مواضع : احدها : ان تقع بعدها همزة .
والثاني : ان تسبق بحرف مشدد . والثالث : ان
يوقف عليها (٢٧) . ومثال ما سبق الهمزة : كساء ،
ورداء ، وخطيئة ، ورزينة ، ومقروءة ، ومخبوءة .
وانما اشبع الممد في هذه الحروف مع الهمزة لان
... الهمزة - حرف - نأى منشؤه ، وتراخى
مخرجه ، فاذا انت نطقت بهذه الاحرف المصوتة
قبله ، ثم تساديت بهن نحوه ، ظن وشعن في الصوت
فونين له ، وزدن في بيانه ، ومكانه ، وليس كذلك
اذا وقع بعدهن غيرها ، وغير مشدد ... « (٢٨) .

واما سبب اشباع هذه الحروف - اذا
وقع المشدد بعدها - فلانها - اي الحروف - تسكن
ويكون اول المنين مع التشديد ساكنا ، وهم لا
يستطيعون ان يلتقي ساكنان حشوا من
اجل ذلك ينطقون الالف : « ... بقوة
الاعتماد عليها فيجسسون طولها ووفاء
الصوت بها عوضا مما كان يجب لالتقاء الساكنين
من تحريكها ... نحو : شائبة ، ودائبة ،
وهكذا قضيب بكر وقد تمود الثوب ... » (٢٩) .
وكذلك اذا وقف عليها

٥ - القلب والبدال بين الاصوات

لا نقصد بالقلب هنا ، القلب المكاني الذي
يتكون من تبادل حروف الكلمة في المواضع ، وانما

(٢٦) انظر / الدراسات اللغوية والصوتية : الفصل الرابع
(الحرف والحركة) ٢٢٥-٢٢٨ . والاشباه والتظاير
١٦٣/١ .

(٢٧) انظر / الفارسي وملحجه اللغوي في الشيرازيات / مجلة
كلية الامم الاعظم / ١٩٧٨ العدد ٢٥٥/١ - ٢٥٦ .
والخصائص ١٢٤/٢ .

(٢٨) الخصائص ١٢٥/٢ . والمسكرات (باب الاعراب
والبناء) ١٤٥ - ١٧٢ .

(٢٩) الخصائص ١٢٦/٢ . وانظر / الشيرازيات ٩/١ - ٢٢
(المسألة الاولى القول في حروف اول) .

نقصد به انقلاب الحروف اللينة الثلاثة - الالف ،
والواو ، والياء - من بعضها الى البعض الآخر :
وهو ما يشمل جزءا من الاعلال ، لان الاعلال يعني
انقلابها ، وحذفها ، واسكانها ، ولا يكون ذلك
- اي الاعلال - اذا سكنت هذه الاصوات . اذن
قضية اعلالها متعلقة بتحريكها الذي يجعل منها
صوائت .

وقد عالج ابو علي هذا الجانب في كثير من
دراساته ومسائله ، وكتبه ، ولا نريد هنا ان
ندخل في التفصيلات فيما كتبه ، انما نود ان نلمح
اليه - اي ما كتبه - لمحا لنبين ما لهذا العالم من
باع طويل في مثل هذه الدراسات التي سبق اليها
تلميذه ابن جني . ولا ادري لماذا اختار الدكتور
حسام النعيمي ان يدرس الاصوات واللهجات عند
ابن جني قبل ان يختار دراستها عند استاذة ابي
علي ؟ . علما ان ما كتبه التلميذ في اغلبه - انما هو
نقل ، او رواية عن استاذة ابي علي او هو تحليل
ما صدر عنه . ثم لا ادري لماذا اغفل ذكر جهود
الاستاذ - عند دراسة اثار التلميذ ؟ . وكان يجب
عليه على الاقل - ذكرها ، اعترافا منه بفضل
المتقدمين . ومهما يكن الامر ، فان الفارسي يعد -
بحق - مؤسس هذا النوع من الدراسات الصوتية
واللغوية حيث جعلها علما مستقلا منفصلا بذاته
عن بقية العلوم اللغوية الاخرى .
آ - القلب :

ان هناك فرقا بين ما يسمى لهجة ، وتطورا
في الاصوات ، وبين ما يسمى قلبا ناتجا من التغيرات
الصوتية . من اجل ذلك علينا ان نميز « ... تلك
التي تحدث بالاستبدال من تلك التي تحدث
بالتطور » (٣٠) .

وحد القلب : ان نصير حروف العلة على
نقيض ما كانت عليه « ... فكأن الحرف نفسه
انقلب من صورة الى صورة ، اذا قلت : قام .
والاصل : قوم ، فكأنه لم يؤت بغيره بدلا منه لان
شدة المقاربة للنفس بمنزلة النفس ... » (٣١)
ان حروف العلة ! حق بالابدال من غيرها من الحروف
الصحيحة لثلاثة اسباب :

- كما يرى ابن سيده - هي : « طلب الخفة
والكثرة ، والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة انه

(٣٠) اللغة / ٧٥ .

(٣١) المخصص ٢٦٧/١٢ . وانظر / اللغة العربية معناها ومبناها
٢٥٧-٢٧٧ (الاعلال والابدال) .

يتمكن بها ، أو ببعضها من أخراج الحروف ، ومن جهة ما فيها من المد واللين ، ومن جهة ما يمكن بها في الشعر من التلحين ، ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك اجمع ، وكل واحد من الثلاثة يطالب بجواز الإبدال « (٢٢) » .

الاول : اذن طلب الخفة : فاذا كان قلب الواو الى ياء في (ميقات) - مثلا - اخف من الاصل الذي هو (موقات) ، كان اولى منه ، لان الخفة تطلبه لا سيما وان العربية لغة موسيقية تتميز بالخفة لانها سمة من سمات الجمال الصوتي في النطق .

والثاني : الكثرة لان ما كثر كان احق بالتخفيف ولحروف العلة كثرة لم تكن لغيرها ، اذ لا تخلو كلمة من بعض هذه الحروف ، لانك اذا اشبعت الضمة ، صارت واوا ، واذا مقلت الفتحة ، صارت ياء ، واذا مددت الكسرة ، صارت ياء . من هنا كانت الكثرة تطلب التخفيف .

والثالث : المناسبة التي تطلب جواز قلب بعض من الحروف الى بعض من غير اخلال بالكلمة ذلك لان المقارب للحرف يقوم مقام نفس الحرف . فكأنك بذكره قد تذكر نفس الحرف ، وهذا لا يكون بين الحروف المتباعدة .

والقلب في الصوائت كثيرا ما يكون صوتيا طبيعيا دون ان يقصد اليه المتكلم حيث ينزع عن طبيعته طلبا للخفة من غير شعور بذلك . وقد يكون القلب في هذه الحروف لهجة لكلمة معينة دون غيرها فالمرب - كما يرى ابو علي - كانوا : « يبدلون الواو من الياء في ... الاسماء وصححوها في الصفات نحو : ربا ، وخزيا ، ولو كانت ربا اسما ، لكانت رؤى ، ومثل ذلك قولهم في النجم : القوا ... » (٢٣) .

ب - التبادل بين الصوائت والحروف الصحيحة (ما بين الصوائت والاصوات الصحيحة) يحصل تبادل بين الاصوات الصحيحة في ابدال احدها من الآخر ، وكذلك يحصل انقلاب بين الصوائت مع بعضها البعض الآخر ، كما يكون هناك تبادل بين الحروف الصحيحة ، وحروف العلة من ذلك :

(٢٢) المخصص ٢٦٧/١٢ .

(٢٣) المقدييات ، ب و ١٥ .

١ - الإبدال بين الالف والهمزة .

فابدال الالف همزة يكون - كما يرى ابو علي - في « ... قولهم : شأبة ودابة وانشد خاطمها زأمتها ان تذهبها

يريد : زأمتها ... » (٢٤) . لكنه فلبس الالف همزة . اما ابدال الهمزة الفا فيكون في مثل « قول عديفوث :

وتضحك منى شيخنة عيشمية
كان لم (ترا) قبلي اسيرا يمانيا

قال - ابو علي - : جاء به على ان تقديره محققا . كان لم ترأ ... » (٢٥) .

ذلك ان الراء لما كانت ساكنة ، وجاورت الهمزة المتحركة صارت الحركة في التقدير قبل الهمزة على الراء فنطفت ترأ ثم ابدلت الهمزة الفا لسكونها ، وانفتاح ما قبلها ، فصارت (ترا) .

ومما سهل هذا الانقلاب هو التقارب بين الهمزة والالف ، فالهمزة صوت شديد من اقصى الحلق يكون محايدا بين الهمس والجهر . وكذلك الالف ، فهو هوائي اجوف من فصيلة الهمزة ومن مخرجها اذ لا حيز لهما ينسبان اليه عند الخليل وهما من اقصى الحلق عند ابي علي (٢٦) . من هنا كانت هذه الانقلابات بين الالف والهمزة نتيجة طبيعية تحصل بسبب حالات صوتية تتعرض لها اللفظة عند النطق بها .

٢ - الإبدال بين الواو والتاء .

التاء تبدل من الواو لشبهها بها في المقاربة لاتساع المخرج . فالواو صامتة ، خلفية ، نصف حركية ، تنطق دون استدارة الشفتين . والتاء صوت ، اسناني ، مهموس ، شديد ، وهذه الصفة تابعة لمخرجه . وغالبا ما تكون الواو اصلا للتاء في كثير من الكلمات لا سيما اذا كانت الواو في بدايات الالفاظ نقول : تقوى ، وتقية ، وتقاة .

(٢٤) سر صناعة الاعراب ٨٢/١ . وانظر الشيرازيات المسألة (٤٠) ٦٤٠/٢ - ٦٤٧ « باب من ابدال الالف همزة » . واللفظة العربية معناها ومبناها ٢٧٥/١ .

(٢٥) سر صناعة الاعراب ٨٦/١ ، والشيرازيات ٦٤٠/٢ (مسألة ٤٠) باب من ابدال الالف همزة : وقراءة عمرو بن عبيد في الآية الكريمة « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » . وانظر / المسكويات ١٦٤-١٦٥ .

(٢٦) انظر / الكتاب (هارون) ٤٢٢/٤ . والعين ٥٧/١ ، واللسان ١٢/١ .

تقدم ندرك أن القلب يكون بين الحروف المتقاربة تقارباً شديداً بحيث يصير أحدهما إلى الآخر . وهذا لا يحصل إلا في الحروف الثلاثة الصائتة (الواو والالف ، والياء) . والاببدال يكون بين الحروف المتقاربة تقارباً وسطاً بحيث لا يصير أحدهما إلى الآخر بل يعوض عنه .

حروف البديل :

حروف البديل ثلاثة عشر حرفاً « في غير ان تدغم حرفاً في حرف » (١٤) وهي « ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك : اليوم تنساه . تسقط السين واللام من الحروف العشرة . وخمسة من غيرهن وهي الطاء ، والدال ، والجيم ، والصاد ، والزاي » (١٥) .

أسباب البديل ترتبط إما ارتباطاً بالنطق الصوتي الذي يعتمد على التقارب أساساً من أجل الخفة في تلفظ الكلمات والتراكيب - في البدايات ، والثنايا ، والآخر - « ... فالتاء تبدل من الواو تشبهها بها في المقاربة لاتساع المخرج ، فلذلك جاء تراث وتخمة ، وتقية ، وما أشبه ذلك . ثم النون لانه أشبه حروف العلة في التروم بها كالتلحين لحروف العلة . وما فيها من الغنة ، كما في حروف العلة من المد . ثم الميم لأنها مواخية للهمزة ، لأنها من مخرجها . وهذه الحروف من حروف الزيادة ، قد بانت مراتبها . ثم الطاء تبدل من التاء في (افعل) من الصبر . فتقول : اصطبر ، لأنها حرف وسط بين حرفين إذ كانت تواخي التاء بالمخرج ، والصاد بالاستعلاء ، والاطباق . ثم الدال تبدل مع الزاي في (افعل) من الزينة ، فتقول : ازدان ، لأنها تواخي الزاي بالجهر ، والتاء بالمخرج . ثم الجيم تبدل من الياء في تميمي ونحوه : تميمج ، لأنها تواخي الياء بالمخرج مع الطلب لحرف أجلد من الياء في اتوقف إذا كانت الياء تخفى في الوقف لاتساع مخرجها ، فابدل منها الجيم ، لأنها والياء ، والسين من مخرج واحد ، وهو وسط اللسان ، ثم الصاد تبدل من السين مع الطاء في الصراط ، لأنها مع الطاء أعدل من السين فهي تواخي الطاء بالاطباق والاستعلاء وتواخي السين بالمخرج . ثم الزاي تبدل من السين في (الزراط) أيضاً لأنها تواخي الطاء بالجهر وهي من مخرج السين أيضاً ، فقد بينت لك حروف البديل ، وعلة الإبدال ، ومراقب هذه

والأصل فيه الواو (٢٧) ، لانه من وقبته والوفاية فلما كثر ابدال التاء منها - أي الواو - استمر في الكلمة ، فقليل تقوى . ويكون ذلك طلباً للخفة لانتنا نجد صعوبة إذا قلنا : (وقوى) . وذلك لما في الكلمة من كثرة الحروف الصوائت .

٢ - الإبدال بين الياء والجيم .

تبدل الياء جيماً . وغالباً ما يكون هذا الإبدال لهجة بين هذين الصوتين ، أكثر منه قياساً فقد ذكر عن « ... أبي علي ... » عن الأصمعي قال : انشدني رجل من أهل البادية :

عمي عويـف وابو عـجـ

المطعمـان اللحم بالعـشـجـ

وبالفـداه كـسر البرنـجـ

يريد : أبو علي وبالعشي ... (٢٨)

وذلك لان الجيم من الوحدات الصوتية التي تنشأ من أدنى الحنك وهي صوت مجهور . ولان الياء صوت أمامي ينطق دون استدارة الشفتين ، صامت ، نصف حركي (٢٩) مما جعل هذا التقارب بينهما يؤدي - أحياناً - في بعض اللهجات إلى الإبدال بينهما ، وبالتالي استسهل الجيم بدلاً من الياء .

نخلص من ذلك إلى أننا نلمح تبادلاً قوياً بين الصوائت والصوائت (بين حروف العلة والحروف الصحيحة) وهذا التبادل يكون لهجة أحياناً ، ويكون قياساً أحياناً أخرى .

ح - الإبدال :

حدد البديل : وضع الشيء مكان غيره ، وهو في اللغة وضع حرف مكان حرف آخر من الحروف الصحاح .

وهذا التعبير يكون في غير حروف العلة - كما يرى ابن سيده - إذ يجري على « البديل لتباعد ما بين الحرفين - في المخرجين - فلم يجب أن يجري مجرى ما يتقارب التقارب الشديد بل وجب فيما تقارب أن يقدر أنه لم يخرج من التغيير عنه فلذلك أجري على طريقة القلب . فاما ما تباعد فيقتضي الخروج عنه في التغيير ... » (٤٠) . مما

(٢٧) انظر / المسائل الشيرازيات ٦٤٧/٢ - ٦٥٥ (المسألة ٤١)

باب من الكلم التي لحقت أوائلها التاء .

(٢٨) سر صناعة الاعراب ١٩٢/١ .

(٢٩) انظر / قضايا في علم اللغة ١٠٢ .

(٤٠) المخصص ٢٦٧/١٢ . وشرح ابن عقيل ٢٤٨-٢١٠/٤ .

(٤١) الكتاب ٢٢٧/٤ .

(٤٢) المخصص ٢٦٧/١٢ .

الحروف في القوة ، والضعف ليجري كل شيء من ذلك على حقه ... « (٤٢) » .

وبعد ان عرفنا ظروف الابدال ، نود ان نشر الى ان الابدال يكون اما كراهة لاجتماع الامثال ، واما اعتيادا للهجة من لهجات القبائل ، واما نهجا لقراءة من القراءات . كما اننا نود ان نشر الى بعض حالات من الابدال عند ابي علي من ذلك :

١ - ابدال النون الثالثة ياء .

الياء حرف صامت ، نصف حركي ، امامي ينطق دون استدارة الشفتين . والنون صوت انفى ، غير اهترازي ، وغير شفوي له اكثر من مخرج واحد . من اجل ذلك اشتد التقارب ، وكره التماثل في النونات ، فابدلت النون الثالثة ياء - كما يرى ابو علي الفارسي - في « ... التَّظَنِّي - فانه تفعلل من الظن ، وكان القياس ان يقال : تظنن ، مثل التشدد الا ان النون الثالثة ابدلت منها الياء كراهية لاجتماع الامثال فقليل : التظنني . ومثل ذلك .. قول المعجاج : تقضي البازي اذا البازي كسر » (٤٤) .

٢ - ابدال الباء ميما

الابدال بين هذين الحرفين هو ابدال بين المتقاربين ، ذلك لان الميم صوت شفوي ، صفته بين الجهر والهمس ، والشدة واللين ، والاطباق وعدمه (٤٥) . وكذلك الباء فهو صوت شفوي مجهور ، غير انفى ، بين الشدة واللين ، والاطباق وعدمه . من هنا كان ابداله ابدال لهجة - فيما رواه « ابو علي باسناده الى الاصمعي . قال : كان ابو سوار الغنوي يقول : باسمك ؟ . يربد : ما اسمك ؟ ... » (٤٦) .

٣ - ابدال الطاء صادًا

الصاد صوت صفي ، مطبق ينطق مهموسا . من المجموعة (بين الاسنانية) والطاء صوت مهموس مجهور ، غير انفى ينطق شديدا احيانا - وابداله صادًا غالبا ما يكون قراءة فيما روى ابو علي « ... عن ابي عثمان ان بعضهم قرأ (ان

يصلحنا وعلى هذا قالوا ا اصبثر في اصطبر ... » (٤٧) .

٤ - ابدال الدال زايا :

الدال من الاصوات الاسنانية المجهورة ، غير المطبقة . والزاي صوت مجهور غير مطبق من اصوات الصفي من اجل ذلك فان هذا التقارب جنح بالدال ان تكون زايا فيما روى ابو علي من قولهم : « ... ازان في ازدان ... » (٤٨) .

٥ - ابدال الدال ذالا وبالعكس .

الدال صوت اسناني مجهور ، غير مطبق . والدال (بين اسناني) مجهور غير مطبق ايضا لذلك سهل الابدال بينهما « فيقال : اجملني منك على ذكر .

ويقال : ذكرته ذكرا ، وذكرى ، وقد قالوا : الذكر بالدال غير معجمة ... » (٤٩) .

٦ - ابدال التاء فاء

التاء صوت مهموس ، غير شديد ، وغير مطبق من الاصوات (بين الاسنانية) . والفاء صوت شفوي اسناني مهموس غير انفى ، للاطباق وعدمه اهمية في مخرجه (٥٠) من هذا التقارب بين الصوتين ، كان البديل بينهما فيما حكى « ابو علي قراءة عليه باسناده الى يعقوب : ان العرب تقول في العطف : قام زيد ثم عمرو اي ثم عمرو . وكذلك جدث وجدف ... » (٥١) .

٧ - ابدال اللام ميما .

اللام صوت ، نصف صامت ، غير انفى ، وغير مكرر ، ينطق جانبيا احيانا وهو بين الاطباق وعدمه . اما الميم ، فهو صوت شفوي ، ليس لجهره سمة حاسمة ، وليس له شدة حاسمة ايضا ، وليس للاطباق وعدمه اهمية في تمييزه ، كما انه غير انفى (٥٢) من اجل ذلك رايناه - اي صوت اللام - مبدلا الى الميم فقد روى : « ... ان النمر بن تولب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس

(٤٧) سر صناعة الاعراب ١/١٩٠-١٩١ .

(٤٨) سر صناعة الاعراب ١/١٩٠-١٩١ .

(٤٩) انظر / العضديات ١٤ .

(٥٠) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٦ و٧٤ .

(٥١) سر صناعة الاعراب ١/٢٥٠ ، والدراسات اللهجية ١٤٥ - ١٤٦ .

(٥٢) انظر / قضايا في علم اللغة ٨٥ و٧٥ .

(٤٢) المخصص ١٢/٢٦٨ .

(٤٤) العضديات م ١٧/١ . والشيرازيات ١٦٢-١٦٤ .

والبصريات ١٦ . ودراسات في اللغة ١٠٣ « النون والميم

في اللغة » .

(٤٥) انظر / قضايا في علم اللغة ٧٥ و٧٣ .

(٤٦) سر صناعة الاعراب ١/١٢٥ .

من امير امصيام في اسفر . يريد ليس من
البحر الحيام في السفر فابدل لام المعرفة
ميم « (٥٣) » .

٨ - ابدال الهمزة عينا .

الهمزة صوت يخرج من اقصى الحلق ،
ينطق شديدا ، ما بين الهمس والجهر وان كان
الوتران الصوتيان اثناء نطقها في وضع لا يمنعها
من الاهتزاز .

اما العين ، فهي من الوحدات الصوتية
التي تخرج من وسط الحلق ، مجهورة ، رخوة
وليست الرخاوة لها سمة . فمن هذا التقارب
ابدلت الهمزة عينا فيما روى « ابو علي قراءة
عليه ، يرفعه الى الاصمعي قال : سمعت ابا
ثعلب ينشد بيت طفيل :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم
غداة دعانا عامر غير معلمي

قال : يريد غير مؤتلي ...

قال : قال الاصمعي : يقال : آدبته ، واعدبته
... اي قوبته واعنته « (٥٤) » .

يستخلص من ذلك ان ابدال - كما يراه ابو
علي - يحصل لمسوغات تعاونت على تكوينه منها
التمائل بين الاصوات ، والتجانس ، والتقارب
ومنها التباعد احيانا ، وذلك ان يتباعد الحرفان
مخرجا ويتحددا صفة ، او ان يتباعد الصوتان
مخرجا وصفة . كالميم والضاد .

الاصوات وزيادتها

الاصل في الاصوات التي تؤلف الكلمات ان لا
تزيد ، ولا تنقص ، وتكون حروفها على قدر
معناها ، وما يراد بها من التعبير ، وعلى ذلك ،
فلا يليق بها الزيادة ، ولا الحذف ، وان انسب
اوضاعها ان تستعمل بدون زيادة او حذف في
الكلمات . والقياس في امتناعها من الحذف « من
قبل ان » الفرض ... انما هو الاختصار « (٥٥) » .
فالمتكلم - مثلا - اذا قال : ما قام زيد . فان (ما)
هنا عوضت عن الفعل (انفى) . واذا ما قال : هل
جاء زيد ؟ نابت عنده (هل) عن قوله (استفهم) .

(٥٢) سر صناعة الاعراب (مخطوط) ١١٦/٢ ب .

(٥١) سر صناعة الاعراب ٢٤١-٢٤٠/١ .

(٥٥) سر صناعة الاعراب ١٧١/١ . وانظر / شرح المفصل
١٥٨-١١١/٩ (زيادة الحروف) .

اذن وقوع الحرف موقع الفعل وفاعله يعد غاية
في الاختصار .

واما علة ضعف زيادتها . فلانها - اي
الاصوات - يقصد بها الاختصار « فلو ذهبت
تزيدها ، لنقضت الفرض الذي قصدته ، لانك كنت
تصير من الزيادة الى ضد ما قصدته من الاختصار
فاعرف هذا فان ابا علي حكاه ... وهو نهاية في
معناه ... » (٥٦) .

فائدة الزيادة

الزيادة في الصوت تعني ضربا من التوكيد (٥٧)
فان من سنن العرب في زيادة حروف الاسم - كما
برى ابن فارس - ان تكون « ... اما للمبالغة ،
واما للتشويه والتقييح ... يقولون للبعيد ما بين
الطرفين المفرط الطول : طرماح ، وانما اصله من
الطر ، وهو البعيد لكنه لما افراط طوله سمي
طرماحا . » (٥٨) . فالزيادة في الحروف اذن تعني
اضافة في المعنى (٥٩) .

الاصوات بين الزيادة والاصل

الاصوات التي تؤلف الاسماء والافعال على
ضربين : اصل وزيادة . ويمكن ان نتبين الزيادة من
الاصل بالاشتقاق « فما سقط في الاشتقاق كان
زائدا وما الزمها فلم يسقط منها كان اصلا . » (٦٠)
فحينما نقول : - مثلا - استخرج فان الهمزة
والسين ، والتاء زوائد ، لاننا نسقطها في صياغة
المصدر فنقول : الخرج على رأي البصريين . ونقول :
خرج على رأي الكوفيين ، وهكذا النون في
(انظر) . والتاء في (ارتى) .

عدة اصوات في الزيادة

اصوات الزيادة : عشرة يجمعهم قولك :
اليوم تنساه (٦١) . تحدث ابو علي عن ثمانية منها
هي : الهمزة ، والالف ، والياء ، والواو ، والميم ،
والنون ، والتاء ، والهاء ، واغفل اثنين منها هما
اللام والسين . وفيما يلي تقدم عرضا سريعا لهذه
الاصوات .

(٥٦) سر صناعة الاعراب ٢٧١/١ ، والخصائص ٢٧٢/٢-٢٧٩ .

(٥٧) سر الصناعة ٢٧١/١ .

(٥٨) الصاجي ٩٩ .

(٥٩) النصف ١٥/١-١٧ (الزيادة اصل في الوضع) .

(٦٠) التكملة ٢٣١ .

(٦١) انظر / الكتاب (هارون) ٢٣٥/٢ (علم حروف الزوائد) ،
والجمهرة ١٠/١ ، والنصف ١١/١-١٣ (باب ما تجمعه
زائدا من حروف الزيادة) ٢٣١-٢٣٤ . والتكملة
٢٢١-٢٢٢ .

١ - الالف :

الالف سميت الفا لانها تألف الحروف كلها، وهي اكثرها دخولا في المنطق تستعمل اصلا وزيادة ولا تزداد اولا لانها ساكنة لا يبتدا بها ، غير انها تزداد ثانية في (فاعل) . وثالثة في (كتاب) . ورابعة في (سكرى) . وخامسة في (حبلابل) . وسادسة في (قبشري) . وهي مناسبة للزيادة اكثر من الهمزة ، لانها كثيرة في الكلمات اذ لا تكاد كلمة « تخلو » . من زيادة بعضها فيها وهي الفتحة « (٦٢) والالف هنا - كما اشار ابو علي - على ثلاثة اصوات فتحة ، وقصيرة ، وممدودة . ونوع هذه الالف مهما كان صوتها ، لا تكون معلولة ، كالالف الاصلية التي هي واحدة من (الصوامت) . فصوت الزيادة في الالف اذن هو غير صوت القلب . وهذا يعني ان صوت الزيادة صوت صحيح ، لا يحرك ، ولا يقلب ، وصوت المد ساكن لكنه يقلب عند التحريك وقد دعم - ابن منظور - راي ابي علي هذا نقلا عن : « ... ابن بري - بان - الالف التي هي احد حروف المد واللين لاسبيل الى تحريكها ... فاذا ارادوا تحريكها ، ردوها الى اصلها في مثل : رحيان ، وعصوان ... » (٦٣) اما منشؤها فهي ثانية بعد الهمزة في حروف الالف باء ، وعددها سبويه ثالثة اذ كان يرى ان « لحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة » فاقصاها مخرجا الهمزة ، والهاء ، والالف .. » (٦٤) .

٢ - التاء :

وهي من الاصوات المهموسة الشديدة النطقية في مجموعة الطاء والذال والتاء اذ تكون - اي هذه الحروف - في حيز واحد .

وتستعمل في الكلام على ثلاثة انواع : اصلا ، وبديلا وزائدة . وتستعمل اصلا فاء ، وعينا ، ولاما ، وتزداد « ... اولى ، وثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ، وسادسة . فزيادتها في الاسماء اولى في نحو : تنضب وتنفل . وفي الفعل تفعل ... والثانية نحو : اقتدر ، والثالثة : استفعل ، والرابعة . سنبته والخامسة .. عفریت ... والسادسة عنكبوت ... » (٦٥) .

(٦٢) التكملة ٢٢٤ .

(٦٣) اللسان ٤٢٧/١٥ (حرف الالف) .

(٦٤) الكتاب (هارون) ٣٢/٤ .

(٦٥) الصاحبي ١٠٨ ، وانظر / التكملة ٢٤١ ، وسر صناعة الاعراب ١٧٤/١ - ١٨٨ (زيادة التاء) .

٢ - السين :

وهو صوت مهموس ، رخو ، غير مطبق من وحدات الصغير ، من مجموعة الصاد والسين ، وانزاي (- وهي اصوات اسلية تبتدا من اسلة اللسان - اي مستدقه - وهو صوت وسط بين الصاد وانزاي (٦٦) . يكون اصلا ، فاء ، وعينا ، ولاما . ويكون زائدا في استفعل .

٣ - اللام :

صوت من الوحدات الصوتية نصف الصامتة ، وهو غير مكرر ، وغير انفي ، ينطق جانبيا ، وهذه سمة ليست مميزة له . وهو من « الحروف المجتورة ... الذلق ، وهي ثلاثة احرف : الراء ، واللام ، والنون ، وهي من حيز واحد ... » (٦٧) وصوت اللام يكون اصلا في الكلمات فاء ، وعينا ، ولاما ، ويكون زائدا في موضعين : هما في قولهم ا عبدل . وفي قولهم : ذلك (٦٨) . ومن زيادة اللام - كما يرى ابو علي - ما حكاه ابو الحسن الاخفش « ... عنهم الخمسة العشر درهما ، فاللام في العشر ، لا يخلو من ان تكون للتعريف او زائدة ، ولا يجوز ان تكون للتعريف ، لان خمسة عشر اسما في الاصل جملا كالاسم الواحد ، وقد يعرف الاسم من اوله باللام في الخمسة ، ومحال ان يتعرف الاسم من جهتين بلامين تبين ان اللام ... زيادة الا انها ليست لازمة لزومها في الآن والذي ... » (٦٩) .

٥ - الميم :

صوت شفوي ، ليس لجهره سمة حاسمة ، وليس لشده سمة حاسمة ايضا . ولم يكن مطبقا ، وهو صوت انفي (٧٠) . وهو عند الخليل مطبق «لانه يطبق اذا لفظ به» (٧١)

ويكون الميم اصليا فاء ، وعينا ، ولاما ، ويكون زائدا حيث يزداد اولا في مثل : منفعل ، ومنفعل ، ومنفعل - اي في المصادر واسماء الزمان والمكان . ويزاد في آخر الاسماء نحو : زرقم . وشدقم (٧٢) .

(٦٦) انظر / التكملة ٢٤٢ - وسر صناعة الاعراب ٢٠٩ ، واللسان ٣/٦ (حرف السين) .

(٦٧) اللسان ٢/١١ .

(٦٨) انظر / التكملة ٢٤٢ ، والصاحبي ١١٢ .

(٦٩) سر صناعة الاعراب (مخطوط) ١٠٢/٢ ا ب .

(٧٠) انظر / قصايا في علم اللغة ٧٥ .

(٧١) اللسان ٢/١٢ (حرف الميم) .

(٧٢) التكملة ٢٢٧ ، والصاحبي ١١٦ .

٦ - النون :

صوت من المجموعة الصوتية ، نصف الصامتة ، وهو انفى ، غير اهتزازي ، وغير شفوي له اكثر من مخرج واحد . من الاصوات المجهورة الذلق ، يخرج مع الراء واللام من حيز واحد .

وباتي اصلا (فاء ، وعينا ، ولاما) . وزائدا (اولا ، وثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا ، وسادسا) . فالاول : نرجس . والثاني : عنسل . والثالث : قلنسوة . والرابع : رعشن . والخامس : سلتان . والسادس : زعفران (٧٤) .

٧ - الهاء :

صوت يخرج مهموسا ، وتوجد فيه صورة صوتية مطبقة ، واخرى غير مطبقة . ومنشأه من اقصى الحلق من مجموعة الاصوات الحلقية التي هي الميم ، والحاء ، والهاء والخاء ، والفين ، والهمزة . وهو في الهمس من فصيلة الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف والشين ، والتاء ، والصاد ، والتاء ، والفاء ، وقد لان في مخرجه ، دون المجهور ، وجرى مع النفس .

ويكون اصليا فاء ، وعينا ، ولاما . وزائدا «... في الوقف نحو : كتابه وحسابه ، وكيفه ، ولله . ومسلمونه» (٧٥) ، فاذا ادرجت ، اسقطته . وقد يزداد في « اوراق ، وفي امهات » (٧٦) .

٨ - الواو :

هو صوت صامت خلفي ، نصف حركي ، ينطق دون استدارة الشفتين من الحروف الجوف من فصيلة الالف والياء . وكان الخليل « يسميها الحروف الضميقة الهوائية ... » (٧٧) وهي ليست لها احياء فتنسب اليها عنده .

ويكون - صوت الواو - اصلا فاء ، وعينا ، ولاما . وزائدا ، ولا يزداد - فيما يرى ابو علي - اولا ، ولكنه يزداد ثانيا نحو : عوسج ، وثالثا نحو : جهور ورابعا نحو : ترقوة ، وخامسا نحو : قلنسوة (٧٨) .

(٧٣) انظر / قضايا في علم اللغة ٨٧ ، واللسان ٢/١٢ (حرف النون) .

(٧٤) التكملة ٢٢٩ ، والصاحبي ١١٦ .

(٧٥) التكملة ٢٤٢ .

(٧٦) التكملة ٢٤٢ .

(٧٧) اللسان ٢/١٤ (حرف الواو) .

(٧٨) التكملة ٢٣٦ . والصاحبي ١١٧-١١٨ .

٩ - الياء :

هي صوت صامت ، نصف حركي ، ينطق دون استدارة الشفتين - وما يزال البحث في التضاد بين الواو والياء في حاجة الى دراسة مستقلة توضح مقدار القضاء الصرفي الدلالي بين الواو والياء ، ومدى حلول كل منهما محل الاخرى .

والياء - كما مر معنا - من الحروف الجوف التي لا حيز لها عند الخليل تكون اصلا فاء وعينا ، ولاما . كما تزداد «... اولا في نحو : يلمق . وفي الفعل : يضرب وثانية في ضيغم ، وثالثة في : هثير ، ورابعة في : زبيسة ، وخامسة في : ... سلحفية» (٧٩) .

١٠ - الهمزة :

وهي صوت مجهور من اقصى الحلق ، شديد ، تكون في الكلام على ثلاثة انواع : اصلية ، وبدلية ، وزائدة ، وتكثر زيادتها - فيما يرى ابو علي - «... اولا في الاسماء والافعال ... فاذا كانت الهمزة اولا ، حكمت بزيادتها ... فان كانت غير اول ، حكمت بأنها اصل حتى تقوم الدلالة على زيادتها .. » (٨٠) .

مما تقدم نستخلص ما ياتي :

اولا :

أ - ان الالف لا تزداد اولا لانها ساكنة ، والكلمة العربية لا تبتدىء بساكن . وتزداد في كل المواضع من الثاني حتى السادس - فيما عدا الموضع الاول - .

ب - التاء والنون تزدادان في كل المواضع من الاول حتى السادس .

ج - السين تزداد ثانية فقط .

د - الهاء تزداد آخرى في الوقف فقط .

هـ - الهمزة تزداد اولا فقط .

و - اللام تزداد وسطا وآخرى .

ز - الميم تزداد اولا وآخرى .

ح - الواو تزداد في كل المواضع من الثاني حتى الخامس .

(٧٩) التكملة ٢٢٥ .

(٨٠) سر صناعة الاعراب ٧٨/١ .

والجمهرة ١٠/١ .

ط - الباء تزداد في كل المواضع من الاول حتى الخامس .

ثانيا :

ان حروف القلب والابدال هي خمسة عشر حرفا ، وليست - كما يرى الكثير من اللغويين ، - منها ثلاثة عشر حرفا ، عشرة منها من حروف الزيادة ، يضاف اليها الطاء ، والذال ، والجيم ، والصاد ، والزاي فتكون بذلك خمسة عشر حرفا وهي تشكل حروف القلب والبدل ، بدليل ان اللام والسين اللذين اسقطهما اللغويون من حروف البدل . كانا قد ابدلا في بعض كلام العرب ، كما رأينا فيما تقدم . سواء كان هذا الابدال قياسا ام لبيعة فهو ابدال لاشك فيه .

ثالثا :

اذا ما تأملنا في مخارج . الحروف الخمسة - الطاء - والذال - والجيم - والصاد ، - والزاي ، رأيناها داخلة في مخارج حروف الزيادة . فالجيم داخل في مخرج الباء ، والصاد والزاي داخلان في مخرج السين ، والطاء والذال داخلان في مخرج التاء . من هنا تكون مخارج اصوات القلب والابدال عشرة داخلة في مخارج اصوات الزيادة ، واليك بالتفصيل مدارجها :

٢ - اصوات : "الف" ، والهمزة ، والهاء من الحلق .

ب - صوتا الجيم والباء : من وسط اللسان ، وما بينه وبين وسط الحنك الاعلى .

ح - صوت اللام : من حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان ، من بينها ، وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فوق الضاحك والناصب والرباعية والثنائية .

د - صوت الذون : من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا .

هـ - اصوات الطاء ، والذال ، والتاء : ما بين طرف اللسان واصول الثنايا .

و - اصوات الصاد ، والزاي ، والسين ، مما بين الثنايا وطرف اللسان

ز - صوتا الميم والواو مما بين الشفتين .

ويمكن ان نحصر هذه المخارج في مجريين اثنين :

احدهما : حلق من ادنى الحنجرة يكون عميقا

والثاني : سطحي قريب من الشفتين يكون محصورا بين اللسان والاسنان والشفتين .

من هنا نشعر ان حروف الابدال والقلب هذه تكاد لا تختلف كثيرا من حيث التشابه والتقارب . وهذا ما يمكنها من ان تخفف من ثقل حروف الكلمة الاصلية - اذا كانت ثقيلة - وتثقل من خفة حروف الكلمة - اذا كانت خفيفة - حتى يتحقق التوازن بين الخفة والثقل في الحروف والحركات التي تنسج الكلمات كما ان حروف الزيادة تحقق لنا مزيدا من المعاني . والتوازن الموسيقي في الكلمات .

القسم الثاني

الادغام في الاصوات

الادغام : « فضل من فضول العربية » (٨١) . وهو : « أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله - او مقارب له - من غير أن تفصل بينهما بحركة ، او وقف ، فيرفع اللسان عنهما ارتفاعا واحدة ، وذلك في قولك : عد وقر ، وعض ... » (٨٢) حيث ان توالي المتحركات - احيانا - لا يحتملها اللسان ، فتكون ثقيلة على النطق . من هنا كان لابد من ساكن لكي تتعاقب الحركات والسواكن . فاذا صدف حرفان لفظهما واحد - او متقارب - وسكن الاول منهما فهو مدغم في الثاني (٨٣)

انواعه عند الفارسي

وهو على نوعين هما :

٢ - ادغام المائل من المتصل والمنفصل

ب - ادغام المقارب من المتصل والمنفصل

٢ - ادغام المائل من المتصل والمنفصل

١ - المتصل : الحرفان المتماثلان اذا كانا في كلمة ، كانا على قسمين :

احدهما : ان يراد بالكلمة اللاحق في كلمة اخرى اكثر منها - اي من الكلمة الاولى - حروفا . والثاني : ان لا يراد به ذلك .

(٨١) النصف ٢/٢٤٠ . وحاشية البيان ٢٤٩/٤ .

(٨٢) التكملة ٢٧٢ . والبصريات ١٢ .

(٨٣) القنطرب ١٩٧/١ . واللفظة العربية معناها ومبناها ٢٧٩-٢٩٥ (الادغام) .

فالذي كان ملحقا لا يدغم حتى يحرك الاول من الصوتين المكررين وذلك : نحو : جلبب - في الفعل - . وقعدد في الاسم . وهذان المثالان ملحقان الثلاثة بالاربعة .

أما ما يلحق الاربعة بالخمسة فنحو : الندد (٨٤) (اي الشديد الخصومة) .

ومما لا يراد به اللاحاق فهو على نوعين ايضا :

الاول : يكون في كلمة واحدة . **والثاني** يكون في كلمتين اثنتين .

فما كان في كلمة واحدة ، فقد ادغموه ، وعاملوه كالم متصل تارة . وقد تركوه فعاملوه كالمفصل تارة اخرى . ومن هذا ما كانت فيه (تاء الافتعال) . نحو : اقتتلوا - ... مثلا - اجري متصلا ومنفصلا - فيما يرى ابو علي - قال قوم : « اقتتلوا ... وقال قوم : قتلوا ... » (٨٥)

أما ادغام التماثلين اذا اتصل احدهما بالتاء ان كانت ضميرا - ، فقد فكهما العرب لحركة التاء ، وذلك لكي يكون الصوت جاريا متسقا . وان كانت حرفا للتانيث ، ادغم العرب التماثلين . وذلك لسكون التاء . فعلى ذلك : « ... تقول : حممت وخممت المراء . ادغمت الميم الاولى في قولهم : حممت . ولم تدغم في : حممت . لان الميم التي هي لام الفعل تبنى على السكون مع علامة الضمير ، كما تبنى عليه في مثل : ضربت ، وقلت ولا تصل الحركة الى هذه اللام لبنائها مع ضمير الفاعل الذي للمتكلم ، والمخاطب ، لان الفعل يبنى مع الفاعل في الضمير ، لتزلهما منزلة كلمة واحدة ... ولما تنزل هذه المنزلة ، وجب ان يظهر التضعيف » (٨٦) وهذه القاعدة المطردة في الكلام العربي لا تمنع من مجيء غيرها في النص فيما حكى ابو علي اذ روى « ... عن الخليل ان ناسا من بكر بن وائل يقولون : ردتن ، ومرتن ... » (٨٧) وهناك من العرب من يفرون من التضعيف الى الابدال اذ « ... ان اختلاف الحروف اخف عليهم من ان يكون من موضع واحد ... » (٨٨) لذلك « قالوا في جمع الجمع

- من حظ - احاظ ، فأبدلوا من الظاء التي هي لام الياء كراهة التضعيف ، وكان القياس احاظ على افاعل ، والاصل : احافظ ... » (٨٩)

٢ - المنفصل :

تقصد هنا ادغام صوتين متماثلين (٩٠) تجاورا في كلمتين كان احدهما في اخر كلمة متقدمة - في تركيب - والثاني في اول كلمة تليها مثال ذلك قولك : فَعَلَّ لبيد . اذ تواتر هنا خمس متحركات ، وذلك ليس بالحسن عندهم (٩١) فتكون هكذا (فَعَلَّ لبيد) باسكان الثالث المتوسط مما يسهل الادغام وهو الافضل .

والساكن قبل الحرف المدغم في المنفصلين يكون على ضربين :

احدهما : ان يكون حرفا لا مد فيه . فلا يجوز - حينئذ - الادغام في الحرف الذي بعده وذلك نحو : « ... اسم موسى . وقوم مالك ... » لانه لم يبلغ من قوة المنفصلين ان يحرك لهما الساكن كما كان ذلك في المتصلين ... » (٩٢)

والثاني : ان يكون حرف مد . والادغام فيه جائز ، لان حرف المد الذي فيه عوض من الحركة يصير بمثابة ما كان من الحرف الذي قبله متحركا مثل قولك : المال لك . و (انحاجوني) . و (ولا الضالين) .

ب - ادغام المقارب من المتصل والمنفصل .

وهذا يتخذ مسارب كثيرة تدخلنا في تفصيلات متشعبة لا نريد الخوض ، او الاطالة فيها ، انما نشير الى اهمها اشارات عابرة في المتصل ومنه :

١ - ادغام تاء الافتعال في الدال ، والطاء ، والزاي ، في ثنانيا الكلمات (٩٣) وقد ورد ذلك في كلام العرب . وكان قياسا للنحاة ، كما قرأ بعض القراء قوله تعالى : « مُرْدَفَيْنَ ... و ... مُرْدَفَيْنَ » (٩٤) . وكان « الاصل فيهما

(٨٩) المضديات ١٦٦ .

(٩٠) انظر / الكتاب ٢٧/٤ - ٢٢٨ (باب الادغام في الحرفين) والمقتضب ٢٠٦/١ (الادغام في التثنية في الانفصال) واللف

العربية (معناها ومبناها) ٢٨٠ - ٢٨٢ (التلن) .

(٩١) انظر / التكملة ٢٧٤ والكتاب (هارون) ٢٣٧/٤ .

(٩٢) التكملة ٢٧٤ ، واللف العربية / ٢٨٢ .

(٩٣) انظر / المقتضب ٢٠٧/١ (الادغام في المقاربة) والدراسات اللهجية ١٧١ - ١٧٢ .

(٩٤) الانفال ٩/٨ . ومعاني القرآن ٤/١٠٤ . وحجة ابن خالويه

١٦٩ ومجمع البيان ٥٢٣/٤ - ٥٢٤ .

(٨٤) التكملة ٢٧٣ .

(٨٥) التكملة ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٨٦) المضديات ٢٨ ا ب .

(٨٧) المضديات ٢٨ ب .

(٨٨) الكتاب (هارون) ٤١٧/٤ .

مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين ، فضمت تارة اتباعا لضمة الميم ، وكسرت تارة لان الساكن يحرك بالكسرة « (٩٥) » .

وهذا النوع من الادغام - في المتصل - في الحروف المتقاربة المخارج في الكلمة الواحدة يكون حسنا « في حسن الادغام » (٩٦) في المتماثلين ، ولا يكون الا اذا كان الحرف الاول من المدغمين - كما أسلفنا سابقا - ساكنا فان تحرك الاول منهما مثل عَشَدُ وَوَكَّدُ ، فلم يحسن الادغام فيهما .

٢ - ادغام التاء اولاً في الدال ، والزاي ، والطاء بعد همزة وصل .

ولا يكون ذلك الا باجتماع همزة وصل ، لان الذي اجتمعت له قبل الادغام كان متحركا ، فلما دخلت عليه ، سكن ، فسهل ادغامه ، فقلت فيه : « ... اَطير اذا اردت تطير وَاَزِيْن اذا اردت : تزين وفي التنزيل : وَآزَيْتَ ... » (٩٧) و (... فَادْرَأْتُمْ فِيهَا) (٩٨) ... » (٩٩) .

هذا ما كان من المقارب في المتصل .

أما ما كان في المنفصل ، فلا نريد الخوض فيه .

ولا يفوتنا ان نقف وقفة قصيرة عند ادغام الاصوات ، وعدم ادغامها عند ابي علي الفارسي حيث قسمها الى ثلاثة اصناف بغض النظر عن اتصالها وانفصالها وهي :

٢ - ما لا يدغم : لا في مثله ، ولا في مقاربه : ويشمل الهمزة ، والالف ، والواو ، والياء .

ب - ما لا يدغم في مقاربه ولكن يدغم مقاربه فيه ويشمل الميم ، والفاء ، والراء ، والشين

ح - ما يدغم في مقاربه ، ويدغم مقاربه فيه . ويشمل سائر الحروف .

٢ - ما لا يدغم : لا في مثله ، ولا في مقاربه .

١ - الهمزة :

وهي لا تدغم في مثلها ، لانها اذا اجتمعت مع همزة مثلها ، فلا بد من ان تقلب الثانية منهما

الى (واو) او (ياء) او (الف) ، وحينئذ تكون هذه الاصوات المنقلبة اليها الهمزة الثانية بعيدة في مخارجها عن مخرج الهمزة (١٠٠) ، لان الادغام يعتمد اساسا على التشابه او التماثل ، او التقارب في الاصوات . وفي انقلابها - اي الثانية - ابعاد في الصوت عن مجرى الهمزة الاولى . من هنا يذهب سيبويه ، ويتابعه الفارسي - الى ابعاد من ذلك اذ يرى ان الهمزة من الحروف التي « ... لا يدغم في مقاربة ، ولا يدغم فيه مقاربة ، كما لا يدغم في مثله ... لانها انما امرها في الاستثقال التغير والحذف ... » (١٠١) . ويقصد بالتغير هنا القلب والابدال . فلا ادغام اذن الا في حال عدم امكان القلب والابدال .

٢ - الالف :

والالف ايضا - كما يرى ابو علي « ... لا تدغم في مثلها ، ولا تدغم في الهاء ايضا ، ولا الهاء فيها » (١٠٢) ، لانهما لو ادغما ، لتغيرا الى غير الالفين ، ولما لم يصلح ذلك في الالفين - اي الادغام - فالاجدر ان لا يكون في الالف والهاء (١٠٣)

٣ - الياء :

الياء لا تدغم في مقاربها (١٠٤) الجيم لان الجيم يمكن ان تقلب ياء - كما اشرنا الى ذلك من قبل في دراسة الابدال - واذا كان الابدال سائفا بين الحرفين يكون على النطق اسهل ، واخف من الادغام . من هنا يلجأ العرب للادغام في كلامهم اذا تعذر القلب والابدال .

٤ - الواو :

الواو ايضا لا تدغم في الميم « ولا تدغم واحدة منهما في مقاربها ، ولا مقاربها فيها » (١٠٥) لان ما في الواو من المد واللين جعل ما بينها وبين الميم بعيدا في المخرجين غير ان الواو تدغم في الياء على الرغم من التراخي الحاصل بين مخرجيهما هذا اذا لم يكن قبلها ضمة ، فان « ... كانت ... قبلها ضمة - فان ذلك - ابعد للادغام ... » (١٠٦)

ب - ما يدغم مقاربه فيه :

(١٠٠) الكلمة ٢٧٦ .

(١٠١) الكتاب ٤٤٦/٤ .

(١٠٢) الكلمة ٢٧٦ .

(١٠٣) انظر / الكتاب ٤٤٦/٤ .

(١٠٤) انظر / الكلمة ٢٧٦ ، والكتاب ٤٤٦/٤ .

(١٠٥) الكلمة ٢٧٦ .

(١٠٦) الكتاب ٤٤٧/٤ .

(٩٥) انظر / مجمع البيان ٥٢٤/٤ . والكتاب ٤٤٤/٤ ، والكلمة ٢٧٤ .

(٩٦) الكتاب (هارون) ٤٤٥/٤ .

(٩٧) يونس ٢٤/١٠ . وانظر / مجمع البيان ١٠٢/٥ القراءات الشاذة .

(٩٨) البقرة ٧٢/٢ . ومجمع البيان ١٢٧/١ .

(٩٩) الكلمة ٢٧٤ .

١ - الاصوات التي لا تدغم فيما قاربها ، ويدغم ما قاربها فيها هي :

الميم ، والراء ، والفاء والشين ، والضاد وغيرها من الاصوات التي فيها « ... زيادة صوت » (١٠٧) فانها لا تدغم في الاصوات التي هي انقص صوتا منها . فحينما نقول : - مثلا - اكرم بكرا . لا نستطيع ان ندغم الميم في الباء ، لما في الميم من الفتحة والزيادة في الصوت على الباء . غير اننا ندغم الباء في الميم في قولنا : اصطحب مطرا . فتقول : اصطحمتطرا وكذلك الفاء ، فلا تدغم في الباء ، لانها تنشأ من باطن الشفة السفلى ، اطراف الشايبا العلوى ، وتنحدر الى الفم . والادغام لا يكون في الحروف الشفوية « وانما اصل الادغام في حروف الفم واللسان » (١٠٨) والراء لا تدغم في اللام ، ولا في النون ، لانها مكورة . غير ان هذين الصوتين - اي اللام والنون - يدغمان فيها لانها اطول صوتا .

٢ - اما الشين ، فقد استطال مخرجها لرخاوتها ، فلا يمكن ان تدغم في الجيم وهكذا بقية الاصوات . فان ما استطال مخرجه منها ، لا يمكن ان يدغم في ما هو انقص منه صوتا بل بالعكس .

ح - ما يدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه .
١ - اصوات الحلق :

ان اصوات الحلق التي تقصدها ، والتي يمكن ان تدغم هي : الهاء ، والعين والحاء ، والفين ، والحاء . فما كان منها اعمق يدغم في الذي باتي بعده في المخرج .

فالهاء - مثلا - تدغم في الحاء ، ومعروف ان الهاء قبل الحاء في المنشأ . من هنا نقول : اجبحملا في « اجبه حملا » لان الهاء ادخل في الحلق والحاء اشد خروجا من الحلق الى الفم ، ولذلك ادغمت الهاء في الحاء ، ولم تدغم الحاء في الهاء في نحو : امدح هلالا ... « (١٠٩) لان الحاء انقص صوتا منها . واصوات الحلق هذه يكون الادغام فيها حسنا ولكنه ليس باصل ، ولا اساس .

وتدغم الهاء في العين ، لان الهاء اعمق في الحلق ، والعين اقرب منها الى الفم في المنشأ غير انه من الافضل ان نبدل من الهاء حاء ، ومن العين

(١٠٧) الكلمة ٢٧٦ ، والكتاب ٤٤٧/٤ - ٤٤٨ ، واللغة العربية ٢٨٢ .

(١٠٨) الكتاب ٤٤٨/٤ .

(١٠٩) الكلمة ٢٧٧ ، والكتاب ٤٤٩/٤ . واللغة العربية ٢٨٥ .

حاء ايضا ، ثم ندغم الحاء فنقول : اجبحنه في اجبه عنه ولكننا لا ندغم العين في الهاء انما نقول : « ... اقطع هلالا - لان - البيان احسن ... » (١١٠) ، في ذلك .

وتدغم العين في الحاء ، فنقول : امدح حرفة في : امدح عرفة . لان الحاء اقرب مخرجا من العين الى الفم ، ولا يصح ان تدغم الحاء في العين (١١١) .

وتدغم الغين في الخاء نحو : ادمغ خلفا . فتقول : ادمخلفا . فالادغام فيهما حسن غير ان « البيان احسن » (١١٢) .

وتدغم القاف مع الكاف ، او تبين ، ويعكس الامر بين القاف والكاف ، وتدغم ايضا وتبين « ... كقولك الحق ككدة ، الادغام حسن ، والبيان حسن ... » (١١٣)

٢ - اصوات طرف اللسان واصول الشايبا (١١٤)

٧٨ وهي اصوات الطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والسين ، والزاي والظاء ، والشاء ، والدال . فتدغم الطاء في الدال ، والدال في التاء ، والتاء في الدال . وهذه الحروف السابقة تدغم في الطاء ، والشاء ، والدال . وبالعكس . وهذا يدل بطبيعة الحال على شدة تقارب هذه الاصوات في الخارج ، والصفات ، والالقاء بحيث تؤدي هذه السمات الى التقارب في تشابه اصواتها في النوع والطول مما يؤدي الى ادغامها ببعضها .

وتدغم هذه الحروف الستة (الطاء ، والدال ، والتاء ، والشاء ، والدال) في الصاد والسين ، والزاي « ولا تدغم الصاد والسين ، والزاي في هذه الحروف » (١١٥) .

وتدغم الطاء ، والتاء ، والدال ، والظاء ، والشاء ، والدال في الضاد ، كما تدغم هذه الاصوات في الشين ايضا ، ويجوز ان تدغم الطاء في الطاء كذلك .

(١١٠) الكتاب ٤٤٩/٤ - ٤٥٠ ، واللغة العربية ٢٨٥ .

(١١١) الكلمة ٢٧٧ . والكتاب ٤٥١/٤ . واللغة العربية ٢٨٥ .

(١١٢) الكلمة ٢٧٧ ، والكتاب ٤٥١/٤ ، واللغة العربية ٢٨٦ .

(١١٣) الكلمة ٢٧٧ ، والكتاب ٤٥٢/٤ .

(١١٤) انظر / الكتاب ٤٧٦-٤٨٠ (الادغام في حروف طرف اللسان والشايبا) .

(١١٥) الكلمة ٢٧٩ .

٣ - ادغام لام المعرفة :

تدغم لام المعرفة في ثلاثة عشر صوتاً - ولا يجوز معها الا الادغام - منها احد عشر صوتاً من اصوات طرف اللسان ، ومنها صوتان يخالطان طرف اللسان وهذه الاصوات هي : النون ، والراء ، والبدال ، والتاء والصاد ، والطاء ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والشاء ، والبدال . اما الصوتان اللذان يخالطان طرف اللسان فهما الضاد والسين (١١٦) .

٤ - النون في الادغام :

ولها اربع احوال هي الادغام ، والاختفاء ، والقلب ، والبيان . فالحروف التي تدغم النون فيها هي : الراء ، واللام ، والميم ، والواو ، والياء ، نحو : من راشد . ومن لك . ومن يقول . ومن واقد . وتدغم بغنة وبغير غنة .

وتقلب ساكنة ميم مع الياء نحو : عمير ، فاذا تحركت ، لم تقلب . وتخفى مع بقية اصوات الفم ، ولا تبين اذ يكون مخرجها مع هذه الاصوات من الخياسيم مثل : من قبل . ومن كفر . وتبين مع اصوات الحلق اذ يكون مخرجها من الفم مثل : من عابد ؟ (١١٧)

ونخلص في نهاية بحثنا في الادغام الى الحقائق التالية :

- ١ - ان ابا علي كان متأثراً ايما تأثير فيما كتبه سيبويه .
- ٢ - ان الاصوات التي تكون اعمق في الحلق تدغم في التي بعدها في الخارج .
- ٣ - ان الصوت الضعيف يدغم في الصوت الذي هو اقوى واطول منه .
- ٤ - لا يلجأ الى الادغام الا اذا تعذر القلب والابدال .

من ذلك يتبين لنا ان ادغام الاصوات يكون حسب مدارجها ، من اقصى الحلق الى نهاية الشفة فما كان منها اعمق ، كان يدغم بالذي بعده لانه اقوى منه صوتاً . وعلى ذلك فلا يكون هناك ادغام بين اصوات اللسان واصوات الحلق لما بينهما من بعد .

وفي النهاية يمكن ان نخلص الى ان القلب ، والابدال ، والادغام ، من وسائل التخفيف للتخلص من الثقل الذي يصادف الكثير من الكلمات عند النطق بها .

(١١٦) انظر / التكملة ٢٨ ، والكتاب ٤٥٧/٤ .

(١١٧) التكملة ٢٧٨ .

القسم الثالث

الامالة واصوات الحركات

١ - الامالة

تعريفها وفائدتها :

هي « ان يتناسب الصوت بمكانها فينشابه ولا يتباين » (١) وهي « ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الالف نحو الياء فتقاربها نحو : عماد وعابد » (٢) . اذن هي مشابهة للادغام من حيث تقرب الحرف من الحرف للتقارب نحو : صدر فانهم احياناً يشربون صوت الصاد زايًا حتى لتكاد تقترب من الدال في الجهر .

والقصد من ذلك بطبيعة الحال « التلازم بين الحروف » (٣) لتقرب الاصوات من بعضها بحيث تولد نمطاً متقافياً في الانسجام والتجانس في المخارج والصفات والتألف . وقد اشار سيبويه الى ذلك من قبل بان قال : « فالالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ... » ايضاً كما لو كانت للكسرة التي بعدها ، ارادوا ان يقربوها منها . . التماس الخفة ... » (٤) ثم اخذ ابن جني فيما بعد ، اجاء به سيبويه وما كتبه ابو علي ، ولم يزد عليه الا قليلاً ليس بذوي بال (٥) .

انواعها

والامالة على نوعين فيما يرى ابو علي الفارسي هما (٦) :

- ١ - الواجبة ، وتكون اذا وقعت الالف في الكلمة بعد الياء ، او بعد الكسرة ، وكذلك اذا كانت الكسرة ، او الياء بعد الالف . وبعبارة ادق اذا سبقت او لحقت الالف بياء ، او كسرة (٧) فالياء نحو : شيبان ، وغيلان . والكسرة نحو : عماد ، وكتاب . هذا اذا كانت الكسرة ، او الياء قبل الالف . اما اذا كانت الكسرة او الياء بعد الالف ، فذلك نحو : عابد . ومسافر . وكان سيبويه قد اشار من قبل الى ان « الالف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور ... » واذا كان بين

(١) التكملة ٢٢٢ ، وشرح المفصل (الهامش) ٥٤/٩ ، وحاشية الصبان شرح الاشموني ٢٢٠/٤ .

(٢) التكملة ٢٢٣ وشرح المفصل ٥٤/٩ .

(٣) التكملة ٢٢٣ وشرح المفصل ٥٤/٩ .

(٤) الكتاب ١١٧/٤ وحاشية الصبان / شرح الاشموني ٢٢٠/٤ .

(٥) انظر / الغصاني ١٤١/٢ والدراسات اللهجية ٢٠١-٢٠٧ (الامالة) .

(٦) الكتاب ١١٧/٤-١٤٤ . وحاشية الصبان / شرح الاشموني ٢٢٠/٤-٢٢٥ .

(٧) الدراسات اللهجية ٢٠١ - ٢٠٧ (الامالة) .

أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك .
والأول مكسور ... وكذلك ان كان بينه وبين
الألف حرفان الأول ساكن ... (٨) .

٢ - الممتنعة : اذا كان ما بعد الألف
مفتوحا ، أو مضموما ، فان الإمالة لا تكون . فاننا
لا يمكن ان نميل الألف في : (قابل) . و
(آجر) (٩) . ذلك لان الإمالة جنوح نحو الكسر ،
ولا نستطيع ان ننحدر بالفتح ، أو الضم مع الألف
نحو الكسر . وهذا ما أكد عليه سيبويه - قبل
الفارسي - اذ كان يرى انه « ... اذا كان ما
بعد الألف مضموما ، أو مفتوحا : لم تكن فيه
إمالة » (١٠) .

إمالة الألف وحروف الاستعلاء

١ - امتناع الإمالة :

اصوات الاستعلاء سبعة هي : الصاد ،
والضاد ، والطاء ، والظاء ، والفين ، والقاف .
والحاء ، فهذه الاصوات تمتنع الألف من الإمالة
معا على أوضاع مخصوصة معينة هي :

١ - اذا كانت هذه الاصوات مفتوحة مثل :
صابر ، وطاهر .

٢ - اذا كانت هذه الاصوات بعد الألف بحرف
واحد مثل : هابط ، ونايع .

٣ - اذا وقعت هذه الاصوات بعد الألف بحرفين
اثنين مثل مناشيط (١١) . وسبب المنع من
الإمالة هنا بسبب ان هذه الاصوات
« تصمد - الى الألف - وتستعلي الى
الحنك الأعلى كما تستعلي الألف وتصد
إليه ... » (١٢) . من أجل ذلك فان هذه
الحروف تغلب على الألف في اصواتها ، كما
تغلب الكسرات والياءات عليها - أي الألف -
في المواضع التي تحصل فيها الإمالة .

ب - امكان الإمالة :

قد لا تمتنع الإمالة احيانا مع الحروف
المستعلية ، اذا تراخت هذه الحروف وذلك :

١ - اذا كان احد هذه الحروف - السبعة
المتقدمة - سابقا للألف بحرف واحد ، وكان
مكسورا مثل ضفاف وقفاف .

٢ - اذا كان بعد الألف حرف مكسور وكان
الألف مسبوqa بواو مثل : (واقد) .

وحاصل ذلك انك حينما تنطق كلمة
(ضفاف) فالانحدار يكون قبل الاصعاد بينما
يكون الاصعاد قبل الانحدار في نطقك كلمة (واقد)
ما تحصل فيه الإمالة وما لا تحصل فيه من الالفات
آ - ما كان فعلا على (فعمل) . وكانت الياء أو

الواو فيه حرفا ثالثا مثل : رمى ، وسعى ،
وغزا ، ودعا . فان الألف في مثل هذه الكلمات
تعال الى الياء ، ان كان أصلها واوا ، ام ياء
ومعنى هذا فانها ترجع الى أصلها في حال كونها
ياء ، وتنقلب الى الياء في حال كونها واوا . وهذه
قاعدة مطردة في هذه الألف في مثل هذا الموضع (١٣)
اذا كانت الكلمة فعلا .

ب - ما كان اسما :

فاذا كانت الألف فيه ثانية منقلبة عن ياء مثل :
ناب ، فانها تعال لاننا نقول فيها : أنياب في حال
الجمع (١٤) .

واذا كانت الألف ثالثة « لم تمنع الإمالة » (١٥)
في مثل رحي ، ونوى . واذا وقعت الألف رابعة
فصاعدا في آخر الاسم ، وكانت منقلبة عن ياء أو عن
واو ، أو كانت للتانيث أو لغيره ، تعال ولا تمتنع
في مثل مرمى ومعزى ، ومشتري ، ومسترشى ،
واعمى ، وحبل (١٦) لانها تنقلب في التثنية ياءات .
وكذلك لو صرفت من شيء منه فعل . وقد
أما نوا الألف المبدلة من التنوين - في الاسم - مثل
رايت عمادا . في حال النصب وذلك « لإمالة الف
عماد » (١٧) .

ج - ما كان ممتنعا من الإمالة في الفعل والاسم .

أما ما يمتنع من الإمالة في الالفات :
فالألف في الفعل في مثل قولك :

هو يضربها . أو يكلها ، وذلك لحجز

(١٣) انظر / الكتاب ١٢٨/٤ و ١٢٢ ، والخصائص ١٤١/٢ .

(١٤) انظر / التكملة ٢٢٤ ، والكتاب ١٢١/٤ .

(١٥) التكملة ٢٢٤ . وشرح ابن عقيل ١٨٢/٤ .

(١٦) الكتاب ١٣٥ و ١٢٤/٤ .

(١٧) انظر / الكتاب ١٢٢/٤ - ١٢٤ .

(٨) الكتاب ١١٧/٤ وانظر / التكملة ٢٢٣ ، حاشية الصبان /
شرح الاشعوني ٢٢١/٤ .

(١١) الكتاب ١٢٢/٤ . وانظر شرح المفصل ٥٩/٩ « تمنع
الإمالة سبعة احرف ... » .

(١٢) الكتاب ١٢٨-١٢٩ . وانظر ، شرح ابن عقيل ١٨٦/٤ .

الضمة ، وكذلك في مثل قولك : لم يخفها ، ولم يعلمها « لانه لا كسر هنا ولا ياء » (١٨) .

اما اذا كانت الالف في الاسم ، وكانت اخيرة ناللة منقلبة عن الواو ، فانها لم تمل كما يرى ابو علي لانها لا تصير الى الياء . غير اننا نلمح في كلام سيبويه الامالة وعدمها ، ذلك لانه يقول : « وقد يتركون الامالة فيما كان على ثلاثة احرف من بنات الواو نحو : قفا ، وعصا ، والقنا ، والقطا واشباههن من الاسماء ، وذلك انهم ارادوا : ان يبينوا انها مكان الواو ، ويفصلوا بينها وبين الياء وهذا قليل يحفظ . وقد قالوا : الكبا ، والعشا ، والمكا ... » (١٩) .

احكام الراء في الامالة

نقصد هنا معاملة (الالف) من حيث الامالة ، وعدمها في الكلمات التي تجتمع فيها الفات وراءات . ومن اجل ذلك علينا ان نعرف طبيعة الراء اولا ، ومن خلال تلك الطبيعة نحدد امالة الالف ، وعدم امالتها ثانيا ويمكن ان نقسم ذلك الى قسمين :

أ - عدم الامالة مع الراء .

الراء صوت مكرر . فاذا نطق به مفتوحا ، صار بمنزلة صوتين مفتوحين لذلك يقوى فيكون بقوة اصوات الاستعلاء ، فيقوى مد الالف ، ولا ينحدر به الى الكسر (٢٠) . وليس هذه الحقيقة جديدة ، انما كان سيبويه يرى - مستعينا بالنص العربي - ان « ... الراء اذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة ، والوقف يزيد لها ايضا ، فلما كانت الراء كذلك ، قالوا : هذا راشد ، وهذا فراش ، فلم يميلوا ، لانهم كانوا قد تكلموا براءين مفتوحين ، فلما كانت كذلك ، قويت على نصب الالفات ، وصارت بمنزلة القاف حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحين فلما كان الفتح كأنه مضاعف وانما هو من الالف : كان العمل من وجه واحد اخف عليهم » (٢١) . وكذلك اذا وقعت الراء بمد الف ، وكان بعدها حرف قابل للامالة ، فلا تمال هذه الالف مثل قولك « ... هذا حمار ، ورأيت حمارا فنصب ، ولا تمل ... » (٢٢) . وخلاصة ذلك انها - اي الالف - « لم تمل في الرفع والنصب » (٢٣)

(١٨) التكملة ٢٢٤ .

(١٩) الكتاب ١١٦/٤ .

(٢٠) انظر / التكملة ٢٢٧ .

(٢١) الكتاب ١٢٦/٤ .

(٢٢) التكملة ٢٢٧ . وانظر / حاشية العبدان شرح الاشموني

٢٢٨/٤ .

(٢٣) الكتاب ١٣٦/٤ .

وكان حديثنا السابق يدور حول الالف اذا كانت مفتوحة سابقة او لاحقة للراء .

اما اذا كانت الراء بعد الالف مكسورة ، او كان بين الالف وبينها حرف ، فانها لم تمل ايضا « ... تقول في الرفع : هو قادر ، فلا تمل ... » وتقول ناقة فارق ، وايئق مفاريق فلا تمل ... » (٢٤) ايضا .

ب - امكان الامالة مع الراء .

تمال الالف مع الراء اذا كانت - الراء - مكسورة في حال الجر ، وكذلك : « ان كان اول الحرف مضموما ، او مفتوحا نحو : من الدوار ، ومن المار ومن العوار ، كما اميلت : من حمار ، لان الراء في كل هذا كحرفين مكسورين فتقوى لذلك على اجتلابها مجرورة كما قوي على منعها مرفوعة ومنصوبة ... » (٢٥) .

وما رآه ابو علي هذا ، وما استنبطه ، كان سيبويه قد اشار اليه من قبل فله - اي سيبويه - قصب السبق حينما قال : « واما في الجر ، فتميل الالف ، ان كان اول الحرف مكسورا ، او مفتوحا ، او مضموما ، لانها كأنها حرفان مكسوران ، فتميل ... » (٢٦) . من هنا نلاحظ ان ابا علي كان مسبقا في هذا الميدان ، ولم يأت باكثر مما نقله عن سيبويه فهو متأثر به ، محترم لرايه ، مقند بما توصل اليه .

ومما تغلب فيه الراء الصوت المستعلي ، وتميل الالف معها ، فنحسو هذا صارم ، وطارد ، وغارب ، وقارب ، وكذلك في كل الاصوات المستعلاء اذا كانت الراء فيها بمد الالف ، حيث تقوى الامالة « اذ كنت انما تضع لسانك في موضع استعلاء ، ثم تنحدر ، فصارت المستعلية بمنزلتها في قفاف » (٢٧) .

ومما تقدم يتضح لنا ان ابا علي لم يأت بجديد زيادة على ما جاء به سيبويه وكان ايضا صدي للدراسة الرواد الاوائل في هذا الميدان .

امالة الحروف

الاصل في الحروف ان لا تمال « لان الحروف ادوات جوامد ، غير متصرفة ،

(٢٤) التكملة ٢٢٦ ، وانظر / الكتاب ١٢٧/٤ .

(٢٥) التكملة ٢٢٧ .

(٢٦) الكتاب ١٣٦/٤ .

(٢٧) الكتاب ١٣٦-١٣٧/٤ .

والامالة ضرب من التصرف ...» (٢٨) . وعندني انه لا حاجة بنا هنا لادخال البناء . ولا الاعراب فيما هو متعلق بالامالة . ذلك لانها قضية صوتية تتعلق باللهجات والقراءات اكثر من كونها قضية نحوية معنوية ، او لفظية .

ومهما يكن الامر ، فان ابا علي لم يجز امالة الكثير من الحروف وخاصة «حروف المعاني» نحو : إلا ، وحتى ، واما ... لانها ليست منقلبة عن شيء » (٢٩) . وذلك - كما يرى سيبويه - انهم لم يميلوا هذه الحروف لانهم « فرقوا بينها وبين الفات الاسماء ... » (٣٠) بيد انهم - أي العرب - يميلونها اذا سموا بها اسما . وحينئذ تستوي في الامالة هي - أي الحروف - والاسماء المبنية . فقد امالوا « آتى » وامالوا حروف المعجم - ان نطقت اسما - كما امالوا (اذا) في اسم الإشارة . واشتراطوا في الاسماء المبنية ان تكون ، مستفنية بذاتها . من اجل ذلك فلم يميلوا (ما) في الاستفهام ، والوصل . ومهما يكن الامر ، فاننا نخلص الى القول في الامالة بانها ليس باصل في كلام العرب ، وانها ظاهرة طارئة (٣١) ، ذلك لانه يجوز تفخيم كل ممال ، ولا يجوز امالة كل مفخم . وايضا فان التفخيم لا يحتاج الى سبب والامالة تحتاج الى سبب .

كما ان العرب يختلفون في الامالة وعدمها « فالامالة لغة بني تميم ، والفتح لغة اهل الحجاز . قال الفراء : اهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء ، وخاف وجاد ، وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو . قال : وعامة اهل نجد من تميم واسد ، وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الاشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مثل قال ، وجال » (٣٢) .

كما ان هؤلاء الذين يميلون ، او الذين لا يميلون من العرب يختلفون في الامالة ، وعدمها لانه ... ليس كل من امال الالفات وافق غيره من العرب ممن يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق

غيره ممن ينصب ، ولكن امره ، وامر صاحبه ، كما امر الاولين في الكسر ، فاذا رايت عربيا كذلك ، فلا ترينه خلط في لغته ولكن هذا من امرهم » (٣٣) . غير ان هذا الممال من الكلام العربي - كما يرى الفراء - « ... كثير ... فمنه ما يكون في كثرة الاستعمال تفخيمه وامالته سواء ، ومنه ما يكون احد الامرين فيه اكثر واحسن » (٣٤) .

ب - اصوات الحركات

نود في هذا البحث ان نتعرض الى الحركات من حيث كونها اصواتا ، تؤثر تأثيرا كبيرا على نطق الكلمات . ويجب ان نشير هنا الى اننا كنا قد درسنا فيما مضى ظاهرة الابتداء ، والوقف ، وعلاقتها بالحركة والسكون على آخر الكلمات (٣٥) .

كما اننا درسنا ظاهرة التذكر والوصل (٣٦) من قبل . وظاهرة البناء والاعراب (٣٧) ايضا . ونواصل في هذا البحث دراستنا عن الحركات بشكل اخر فنقول : ان الحركات على نوعين : الاول : حركات الاعراب والبناء . والثاني : حركات التتابع . أي تلك التي تتابع مع حروف الكلمة من ابتداء النطق بها حتى انتهائه . وذلك لغرض ، ضبط النطق الصوتي . واحيانا تتصل هذه الحركات بالكلمات في حال اتصالها ، او انفصالها . ويقصد من كل ذلك جريان اصواتها بتألف يؤدي الى الخفة ، والسهولة على النطق . اذن فالغرض الاساس من هذه الحركات هو غرض صوتي بحث .

وقد بحث ابو علي هذه النواحي جميعا بتفصيل مسهب سواء في كتبه الخاصة ، مثل الشيرازيات ، والمسكريات ، وافسام الاخبار ، والمضديات ، والبصريات ، ام فيما نقله تلاميذه عنه ، واخص منهم بالذكر (ابا عثمان ابن جني) حيث قال متحدثا عن الساكن والمنحرك من الكلمات « ... كان - لابي علي - رحمه الله - مسألان طويلة قديمة ، وقصيرة حديثة كلتاهما في الكلام على الحرف المبتدا . امكن ان يكسبون ساكنا ام لا . فقد غنينا بهما ان نتكلف نحن شيئا عن هذا الشرح في معناهما » (٣٨) . اذن كان ابو علي متتبعا لظاهرتي السكون والحركة ، والوقف

(٣٢) الكتاب ١٢٥/٤ .

(٣٤) شرح المفصل ٥٤/٩ .

(٣٥) انظر / الشيرازيات ٢٠٢-١٩٥/١ .

(٣٦) انظر / فطرب ومنتجه اللغوي والنحوي ٣٢/٢ .

(٣٧) المسكرات ٦١-٥٢ .

(٣٨) الخصائص ٣٢٩/٢ .

(٢٨) شرح المفصل ٦٥/٩ . وانظر / شرح ابن عليل ١٨٩/٤ و « في الدراسات القرآنية واللغوية » ٢٥٤-٢٤٨ امالة بعض الحروف .

(٢٩) التكملة ٢٢٦ .

(٣٠) الكتاب ١٢٥/٤ .

(٣١) انظر / شرح المفصل ٥٤/٩ .

(٣٢) انظر / شرح المفصل ٥٤/٩ .

والابتداء - هذا ما اشار اليه تلميذه - اذ لم يكن - اي ابن جني - اكثر من كونه شارحا وموضحا لما جاء به استاذه . وقد نجد من دراسات ابي علي عن الحركات الكثير في مختلف مصنقاته العديدة ، وفيما نقله عنه تلاميذه وسوف تقتصر في بحثنا هذا على ما يأتي ا

١ - نشوء الحركات عند ابي علي .

يرى ابو علي ان الحركة تحدث مع الحرف ، مخالفا الكثير من العلماء ممن تقدموه وعاصروه ، وجاءوا من بعده . قائلا : ان الدليل « ... على ان الحركة تحدث مع الحرف بان النون الساكنة اذا تحركت زالت عن الخياشيم الى الفم ، وكذلك الالف اذا تحركت ، انقلبت همزة فدل ذلك - عنده - على ان الحركة تحدث مع الحرف وهو لمعري استدلال قوي ... » (٢٩) . وهذا النص يقوي رأي من يرى - ممن كان ابو علي على مذهبهم - حدوث الحركة مع الحرف ذلك لان النون الساكنة يكون مخرجها متساوقا مع حروف الفم من الانف ، بينما يكون مخرج النون المتحركة من الفم « فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده ، لوجب ان تكون النون المتحركة ايضا من الانف » (٣٠) .

ومذهب ابي علي هذا ثالث مذاهب ثلاثة . الاول : يرى ان الحركة تحدث قبل الحرف ، وعليه ابن جني واجماع النحاة ، والثاني : يرى انها تحدث بعد الحرف وعليه سيبويه (٤١) . وعلى هذا فاصل الحرف - عنده - مبني اساسا على الحركة ، والحرف الساكن هو عارض . اذن فالاصوات كلها متحركة ، او يمكن تحريكها - الا الالف والمدة - والساكن ايضا يكون على « ... ضربين : ساكن يمكن تحريكه ، وساكن لا يمكن تحريكه . الاول ا منهما جميع الحروف الا الساكنة المدة . والثاني : هو عده الالف : نحو الف كتاب ، وحساب ، وباع ، وقام . والحرف الساكن الممكن تحريكه على ضربين : احدهما ما يبنى على السكون ، والاخر ما كان متحركا ثم سكن ... » (٤٢) . وهذا يدل على ان اللفظة مبنية في تواصلها على اساس التخالف بين السواكن والحركات في الحروف والكلمات . وكل ذلك من اجل حلاوة موسيقى الكلمات ، والعبارات ، والجمل .

٢ - الحركات التي تقع في حشو الكلمات ، وفي ابتداءاتها ، ونهاياتها هي على نوعين : الحشو والطرف « ... فالحشو كراء : ضرب ، وتاء قتل ... واما الطرف فنحو ... دال احمد ، ويا يضرب ... » (٤٣) .

والمقصود هنا الحركات التي تقع على هذه الحروف ، اينما كان موقعها ، مما تلزمها الحركات لاننا لا نستطيع ان نبتدي بالساكن ، وحروف النهايات ايضا - كالابتداءات - يلزمها الحركات لانها - اي الكلمات - تقع في موقع يقتضيه الاعراب الذي يدل على المعاني بواسطة هذه الحركات . واما في ثانيا الكلمات ، فانما تتماقب الحركات والسواكن طلبا للخفة وجريان موسيقى الاصوات . ومن هنا كان التحريك ، الزم من الوقف لان الوقف حالة عارضة ، والوصل حالة اساسية تقتضي الحركات (٤٤) .

٣ - هجوم الحركات على الحركات :

وهذه الظاهرة تكون اما بابدال حركة في حركة اخرى غيرها ، كما في قولك ا

الحمد لله : حينما تقول : الحمد لله ، فتكسر (دال) الحمد للمجانسة . واما بنحو من المجانسة مثل ما « ... حكاة ... ابو علي عن ابي عبيدة : انه سمع دعه في جر'امته ، وذلك انه نقل ضمة الهمزة - بعد ان حذفها على الراء ، وهي مكسورة ، فنفي الكسرة ، واعقب منها ضمة ... » (٤٥) .

اذن هذا الاتجاه - في التعامل مع الحركات - يرجع الى التجانس بينها حتى يتمكن من ان تقدم نطقا سهلا ، ونفعا جميلا ، تميزت به العربية عن غيرها من الكثير من اللغات العالمية . من هنا فهم يكرهون الخروج من الكسر الى الضم - اي من الانحدار الذي هو جزء من الباء الى الضم الذي هو شيء من التفخيم . وهم ايضا يفرون من الثقل المستكره الى الثقل المقبول . وعلى هذا كان « ... استكراههم الخروج من كسر الى ضم بناء لازما ، فليس ذلك شيئا راجعا الى الحروف ، وانما هو استئصال منهم للخروج من تثقيل الى ما هو اثقل منه . وانت لو رمت ان تأتي بكسرة ، او ضمة ، قبل الالف ، لم تستطع ذلك البتة وكذلك

(٢٩) الخصائص ٢/٢٣١ .

(٤٠) انظر / الشيرازيات ١/١٩٥-٢٠٢ ، والخصائص ٢/٢٢٤ .

(٤١) الخصائص ٢/١٤١ .

(٢٩) سر صناعة الاعراب ١/٢٧ .

(٤٠) الخصائص ٢/٢٣٢ .

(٤١) انظر / الخصائص ٢/٢٢٢ .

(٤٢) الخصائص ٢/٢٢٧ .

لوتكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة ، او الضمة قبل الياء الساكنة المفردة ، لتجشمت فيه مشقة ، وكلفة لا تجدها مع الحروف الصاح (٤٦)

٤ - مظهر الحركات واشباعها :

لقد مد العرب الحركات في كثير من كلامهم في النثر والشعر . وفي حال الاتساع او الضرورة ، في اللهجات والقراءات فاشبعوا الفتحة الفاء ، والكسرة بياء ، والضمة واوا ، وقد تأمل ابو علي في هذه الظاهرة ، وأشار اليها في كثير من مؤلفاته . وربما كتب عنها شيئا طريفا كالذي كتبه في باب « ما كان من كلامهم شاذا » في مسائله العسكرية . وقد نقل عنه تلميذه ابن جني طرفا من هذه الاشارات تتعلق في مظهر الحركات قائلا : « ... فسلت العرب ذلك - حيث - انشأت عن الحركة من جنسها فتشبيء بعد الفتحة (الالف) ، وبعد الكسرة (الياء) ، وبعد الضمة (الواو) . فالف المنشأة عن اشباع الفتحة ما انشدناه ابو علي لابن هرمة يرثي ابنه :

فأنت من الفوائل حين ترمي

ومن ذم الرجال بمنتزاح

اراد بمنتزح . وانشدنا ايضا لعنترة :

..... ينباع من ذفرى غصوب جسرّه
اراد : ينبع .

ومن اشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من (الصباريف او (المطافيل) والخضر الجلاعيد» (٤٧) وانما هي : الجلاعد : جمع جلعده وهو الشديد . ومن مظهر الضمة قول الشاعر :

وانني حيث ما يشري الهوى بصري

من حيث ما سلكوا ارنسو فانظور (٤٨)

من هنا فان الاشباع ظاهرة لغوية تتعلق باللهجات العربية ، والقراءات ، وليست قضية اعرابية كما يتوهم الكثير من النحاة (٤٩) . كان قد فطن اليها ابو علي ، وعالجها بمنطق علمي واقعي يتفق مع النطق العربي .

ونخلص من ذلك كله الى ان ابا علي كان عالما لغويا متميزا في عصره ، جمع اشئاث الدراسات

(٤٦) سر الصناعة ٢١/١ .

(٤٧) المضديات ١٨٨/١ . والاشباه والنظائر ١٦٢/١-١٧٢ .

(٤٨) انظر / شرح المفصل ١٠٦/١ ، والانصاف ٢٤/١ .

(٤٩) انظر / الانصاف ٢٤/١ .

اللغوية ، وجعل منها علما مستقلا بذاته توارثه عنه فيما بعد تلميذه ابن جني الذي طور هذا العلم وجعله ممهدا للدارسين من بعده ، على مر السنين .

اهم المصادر والمراجع

- ١ - اسماء الاشارة بين العربية واللفات السامية (دراسة مقارنة) - رسالة ماجستير - علاء الدين هاشم - جامعة عين شمس (كلية الآداب) ١٩٨١ م .
- ٢ - الاشتقاق - عبدالله امين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٣ - الاشباه والنظائر - جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) - تحقيق طه عبدالرؤوف سميد - مطبعة شركة الطباعة - مصر ١٩٧٥ م .
- ٤ - اشتقاق اسماء الله - ابو القاسم الزجاجي (٢٢٧ هـ) - تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك - مطبعة النعمان - النجف ١٩٧٤ م .
- ٥ - الانصاف في مسائل الخلاف - ابن الانباري (عبدالرحمن محمد بن محمد ٥٧٧ هـ) تحقيق محيي الدين عبدالحميد - مطبعة السعادة - ط ٤ - مصر ١٩٦١ م .
- ٦ - الايضاح المضدي - ابو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) - تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود - الطبعة الاولى - مطبعة دار التأليف - مصر ١٩٦٩ م .
- ٧ - الايضاح في علل النحو - ابو القاسم الزجاجي (٢٢٧ هـ) تحقيق مازن المبارك - مطبعة المدني - مصر ١٩٥٩ م .
- ٨ - تاريخ اللغات السامية - ا . وفنسون - دار العلم - بيروت ١٩٨٠ م .
- ٩ - التكملة لابي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) - تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود - الطبعة الاولى - الرياض ١٩٨١ م .
- ١٠ - حاشية الصبان / شرح الاشمونى على الفية ابن مالك - دار احياء الكتب العربية - مطبعة عيسى الحلبي - مصر .
- ١١ - الجوهرة لابن دريد محمد بن الحسن (٢٢١ هـ) - دار صادر - بيروت .
- ١٢ - الخصائص - ابو الفتح عثمان بن جني (٢٩٢ هـ) - تحقيق محمد علي النجار - ط ٢ - مطبعة دار الهدى - بيروت .
- ١٣ - الخليل بن احمد الفراهيدي - مهدي الخزومي - مطبعة الزهراء - بغداد ١٩٦٠ م .
- ١٤ - الدراسات اللهجية والصونية عند ابن جني - الدكتور حسام سعيد النعيمي - دار الطليعة - بغداد ١٩٨٠ م .

- ١٥- دراسات في اللغة - الدكتور ابراهيم السامرائي -
مطبعة العاني - بغداد ١٩٦١ م .
- ١٦- دلالة الالفاظ - الدكتور ابراهيم انيس - الطبعة الثالثة -
المطبعة الفنية الحديثة - مصر ١٩٧٦ م .
- ١٧- سر صناعة الاعراب - ابن جنى (٢٩٢ هـ) - تحقيق
مصطفى السقا وآخرين - مطبعة الحلبي - الطبعة الاولى -
القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٨- شرح ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله ٧٦٩ هـ) - تحقيق
محيي الدين عبدالحاميد - مطبعة السعادة - الطبعة ١٦
- مصر ١٩٦٤ م .
- ١٩- شرح المفصل لابن يمش (علي بن يعش ٦٤٢ هـ) -
دار الطباعة المنيرية - مصر ١٩٦٨ م .
- ٢٠- الصاحب في فقه اللغة - ابو الحسين احمد بن فارس
(٣٩٥ هـ) - تحقيق مصطفى الشويبي - بيروت ١٩٦٣ م .
- ٢١- العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب - الشيخ ناصف
اليازجي - المطبعة الادبية - ١٣٠٥ هـ .
- ٢٢- العين - الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) - تحقيق
الدكتور مهدي الخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي -
- طبع وزارة الثقافة والاعلام - ١٩٨٠ - ١٩٨٢ .
- ٢٣- الفارسي وملهه اللغوي في الشيرازيات - الدكتور علي
جابر المنصوري - بحث في - مجلة كلية الامام الاعظم -
المدد ١ - ١٩٧٨ .
- ٢٤- الفل زمانه وابنته - الدكتور ابراهيم السامرائي -
مطبعة العالي - بغداد ١٩٦٦ م .
- ٢٥- في الدراسات القرآنية واللغوية - الدكتور عبدالفتاح
شليبي - مطبعة دار النهضة - الطبعة الثانية - القاهرة
١٩٧١ م .
- ٢٦- قضايا في علم اللغة - الدكتور محمود فهمي حجازي -
محاضرات - طبع رونيو - القاهرة ١٩٧٧ م .
- ٢٧- لطرب ومنهجه النحوي واللغوي - الدكتور علي جابر
المنصوري - بحث مستقل - مجلة كلية الشريعة - العدد
٧ - ١٩٨١ م .
- ٢٨- قواعد اللغة العربية - وليم رايت - مطبعة جامعة كمبرج
- الطبعة الثالثة - انكلترا .
- ٢٩- الكتاب - سيويه (١٨٠ هـ) - تحقيق الدكتور عبدالسلام
هارون - عالم الكتب - بيروت .
- ٣٠- اللغة العربية (معناها ومبناها) - الدكتور تمام حسان
مطابع الهيئة المصرية - القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٣١- لسان العرب - ابن منظور (محمد بن مكرم) - دار صادر -
بيروت ١٩٥٥ م .
- ٣٢- اللغة - فندريس - تريب عبدالحاميد الدواخلي ،
ومحمد القصاص - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة
١٩٥٠ م .
- ٣٣- المخصص - ابن سيده (ابو الحسن علي بن اسماعيل
- ٤٥٨ هـ) مطبعة الكتب التجاري - بيروت .
- ٢٤- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي (الفضل بن
الحسن) - دار احياء التراث العربي - بيروت .
- ٢٥- المحكم والمحيط الاعظم - ابن سيده (٤٥٨ هـ) - تحقيق
مصطفى السقا والدكتور حسين نصار - الطبعة الاولى -
مطبعة الحلبي - مصر ١٩٥٨ م .
- ٢٦- مدرسة الكوفة - الدكتور مهدي الخزومي - مطبعة
الحلبي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٧- الزهر - جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) - تحقيق احمد
جاد المولى - دار احياء الكتب العربية - الطبعة الثالثة -
مصر .
- ٢٨- المسائل البصريات لابي علي الفارسي (٢٧٧ هـ) - مخطوط
- مكتبة شهيد علي ٢/٢٥١٦ .
- ٢٩- المسائل الشيرازيات لابي علي الفارسي (٢٧٧ هـ) -
رسالة دكتوراه - علي جابر المنصوري - جامعة عين شمس
(كلية الاداب) - القاهرة ١٩٧٦ .
- ٣٠- المسائل المسكرات لابي علي الفارسي (٢٧٧ هـ) -
تحقيق الدكتور علي جابر المنصوري - مطبعة الجامعة -
الطبعة الاولى والثانية - بغداد ١٩٨٢ م .
- ٤١- المسائل الفصديات لابي علي الفارسي (٢٧٧ هـ) - تحقيق
الدكتور علي جابر المنصوري - طبع على الآلة الكاتبة -
بغداد ١٩٨٤ م .
- ٤٢- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات - لابي علي النحوي
(٢٧٧ هـ) - تحقيق صلاح الدين عبدالله السنكاوي
- مطبعة العاني - بغداد ١٩٨٢ م .
- ٤٣- مشكلات في التأليف اللغوي - الدكتور رشيد المبيدي
- مطبعة دار الجاحظ - بغداد ١٩٨١ .
- ٤٤- العرب من الكلام الاعجمي - ابو منصور الجواليقي
(موهوب بن احمد ٥٤٠ هـ)
مطبعة دار الجاحظ - بغداد ١٩٨١ م .
- ٤٥- مفتي اللبيب - ابن هشام (عبدالله جمال الدين بن
يوسف ٧٦١ هـ) - تحقيق احمد محمد شاكر .
- ٤٦- مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون - مطبعة الكشاف بيروت
- ٤٧- المختضب - البرد (محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ) - تحقيق
عبدالخالق عفيمة - مطبعة المجلس الاعلى للشؤون
الاسلامية - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ٤٩- المنصف - ابن جنى (عثمان بن جنى ٢٩٢ هـ) - تحقيق
ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين - مطبعة الحلبي -
الطبعة الاولى - مصر ١٩٥٤ م .
- (٥٠) الوجيز في فقه اللغة - محمد الانطاكي - المطبعة
الحديثة - حلب ١٩٦٩ م .

٢٢- المخصص - ابن سيده (ابو الحسن علي بن اسماعيل